بعض التعليقات والقواعد العلمية على مسائل الجاهلية

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، أما بعد :

فهذه بعض التعليقات والقواعد العلمية على مسائل الجاهلية للشيخ أحمد الحازمي – حفظه الله من كل شر وسوء وعدو – .

أسأل الله تعالى أن يحفظ الشيخ وأن يزده علما وعملا وإخلاصا وثباتا على الحق ، وأن لايخشى ولايخاف في الله العظيم لومة لائم .

أشهد الله أني أحب الشيخ في الله .

مقدمة الشيخ :–

المغزى والمضمون هو التنصيص على المسائل التي خالف فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أهلَ الجاهلية وليس البحث والتفصيل في هذه المسائل ، ولهذا يمكن جمع هذه المسائل في قاعدة وهي : (كل واجب تركه المكلف أو محظور فعله المكلف فهو من أمور الجاهلية) .

المؤلف :–

هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي (١١١٥ – ١٢٢٦) هـــ.

اسم الكتاب :–

مسائل الجاهلية أو المسائل التي خالف فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أهلَ الجاهلية " وهذا مأخوذ من بداية الكتاب ".

المؤلف لم يسم هذا الكتاب كعادته – رحمه الله – لأن غرضه هو التصنيف لأجل إيصال الفائدة ، ولذلك اختلف في كتاب التوحيد والأصول الثلاثة والقواعد الأربع ، لأنه إمام صاحب دعوة لا يهتم بالتأليف والتصنيف فيريد إيصال الفائدة لعموم المسلمين ، ولذلك اعتنى بذكر الدليل والإيجاز والإيضاح .

وقد يكون سمى الكتاب مشافهة (جاء في بعض نسخ فتح المجيد (وهو ليس بمطبوع) قال عبد الرحمن بن حسن : ولشيخنا مصنف لطيف ذكر فيه ما خالف فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية) ا . هـــ .

وهذا يدل على :– –١– صحة نسبة الكتاب للإمام لأن هذا كلام حفيده .

–٢– جمع ما خالف فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية في هذه الرسالة القيمة .

- والألوسي لم يسمها في شرحه .
- سبب تأليف الرسائل القصيرة :– ليخاطب بها العوام أولا والخواص ثانيا .

أهمية الكتاب :-

هذا الكتاب قائم على أصل من أصول الدين وهو مخالفة الكفار ، فهنا أراد المصنف أن يجمع كل كتاباته ومصنفاته ، فهذه تعتبر رؤوس أقلام ، فدل على أن المسائل التي خالف فيها النبي صلى الله عليه وسلم هي ما كانت النتائج من تلك المقدمات التي ذكرها في كتبه .

- هذا الكتاب خلاصة لكل ما أمر الله به ورسوله.
- قال الله تعالى : " اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧) " ، وقال صلى الله عليه وسلم : " مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ منْهُمْ " ١.
- فهذا فيه مفاصلة بين صراط المنعوم عليهم وبين المغضوب عليهم والضالين .
- لفهم هذه الرسالة لا بد من :-

-١- معرفة الجاهلية (لغة – اشتقاقا – اصطلاحا – ضدها وهو العلم).

-٢- أقسام الجاهلية .

-٣- الأصل التي بُنِيت عليها هذه المسائل .

منهج الرسالة :-

يخاطب فيه العوام وطلاب العلم والعلماء ، ولهذا فإنه يبتدأ بما يريده (لفائدة استعجال الفائدة) حتى يسهل على العوام .

عدد المسائل :-

في الدرر السنية (١٣١/٢) ١٢٨ مسألة ، وعند الألوسي ١٠٠ مسألة ، قال الألوسي :" إني وقفت على رسالة صغيرة الحجم ، كثيرة الفوائد ، تشتمل على نحو مائة مسألة "٢ .

وقال عبد الرحمن بن حسن في بعض نسخ الفتح في باب الاستسقاء بالأنواء : " ولشيخنا –رحمه الله– مصنف لطيف ذكر فيه ما خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه أهل الجاهلية، بلغ مائة وعشرين مسألة " .

وسبب الاختلاف أن بعض النساخ يجعلون المسألة أو أكثر مسألةً واحدة ، ذكر الشيخ صالح العبود في كتاب عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٢١٤/١) : " وهو مطبوع متداول بتعداد مختلف لهذه المسائل اختلافا سهلا في الزيادة والنقص ولا يضر ذلك لأن الكتاب صحيح النسبة إلى الشيخ، والزيادة والنقص إنما هو في تعداد المسائل فبعض النساخ يجعل المسألتين والثلاث واحدة والبعض الآخر يجعل لكل مسألة عددآ خاصا كما يفعل الشيخ الألوسي في الرابعة والخمسين والخامسة والخمسين وهكذا " .

إذاً الجوهر واحد والاختلاف في التعداد وأفضل ما قيل فيها هو قول عبد الرحمن بن حسن لأنه ألصق بالشيخ رحم الله الجميع .

قال الألوسي " بيد أن مسائل تلك الرسالة في غاية الإيجاز ، بل كادت تعد من قبيل الألغاز "٣ .

- ليس مراد المصنف أن نشرح هذه المسائل في هذه الرسالة ، وإنما التنصيص عليها فقط والتنبه لها .

هذه الرسالة مبنية على أصل من أصول الدين وهي مخالفة الكفار ، فيجب أن نؤصل لهذه القاعدة ثم نشرع بالشرح .

كتابه هذا يدل على أن دعوته قائمة على الكتاب والسنة .

- لما ناظر المبتدعة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في العقيدة الواسطية قالوا له : " قل هذه عقيدتي " لأنهم لا يريدون أن يدوا عليه لأنها عقيدة السلف الصالح ، فإذا ردوا عليه وقعوا في الكارثة .

---

[١] أخرجه أبو داود و أحمد والبزار و الطبراني .

[٢] ص ٣٤ .

[٣] ص٣٥ .

- إذا وجّه الناظر نظره إلى قول الله تعالى وقول رسوله صلى الله عليه وسلم من غير فهم كلام أهل العلم السابقين فإنه يقع فيما وقع فيه المبتدعة من الخوارج والروافض والمرجئة ، ولهذا اختلاف العلماء في أصول المعتقد إنما وقع في العلميات الغيبة ، ولكنها ليست كمسائل القدر وإثبات الأسماء والصفات على حقائقها فليس بين السلف خلاف في الأصول وإنما في الفقهيات ، ولهذا فمن حاول الفصل بين الدليل وطريقة فهمه فأنه لا بد أن يقع في البدعة .
- لا يوجد مبتدع منتسب للإسلام إلا ويستدل بالكتاب والسنة .

شروح الكتاب :-

-١- الألوسي :- محمود شكري أبو المعالي الألوسي البغدادي السلفي (١٢٧٣ – ١٣٤٢) هـ صاحب كتاب غاية الأماني في الرد على النبهاني وكتاب صب العذاب على من سب الأصحاب وكتاب بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب و ليس صاحب كتاب روح المعاني .

-٢- محمود السعيد : جمع وحقق وشرح الكتاب .

مسألة : هل المصنف قصد قصر المسائل ؟

الجواب : أنه لم يقصد الاستيعاب والحصر وإنما أراد ذكر الأمثلة فيما جرى عليه أهل الشرك في زمانه ، لأنه نص على ذلك ، وهو نفسه رحمه الله في البداية قال " أمور – وفي بعض النسخ مسائل – " وهي ليست من ألفاظ العموم أو الحصر والقصر .

ثانيا : لأن الحال تشهد على ذلك ، وقد قام الكتور محمود الدويش بكتابة (زوائد على مسائل الجاهلية)وزاد ٢١١ مسألة على الكتاب .

الشروع في شرح الكتاب

مسائل " أمور " الجاهلية

- مسائل : جمع مسألة ، مفعلة من السؤال ، وقد يراد بهذا الوزن : -١- مصدر -٢-اسم مكان -٣- اسم آلة .

والمسألة :- ما يبرهن عليه من العلم ، يعني كل كلام يحتاج لدليل وبرهان . وفي المفردات " استدعاء معرفة أو ما يؤدي إلى معرفة " .

- أمور : الأمر هي ما يصدق على القول أو الفعل (وإليه يرجع الأمر كله) و (قل إن الأمر .....) و (أمره إلى الله) .
- الجاهلية : المعنى اللغوي : مصدر صناعي (جاهلية) ، والمصدر الصناعي اسم تلحقه ياء مشددة مكسور ما قبلها وبعدها تاء تأنيث مربوطة ، فائدته ليدل على معنى لم يكن يدل عليه قبل الزيادة ، وهذا معلوم من لغة العرب ، أنهم لا يصيفون شيئا إلا لفائدة

*والياء والتاء هل هما حرفا معنى أم مبنى ؟

الياء ياء النسبة :- حرف معنى ينفك عن الكلمة ، وكذلك تاء التأنيث . (جاهل – جاهلي – جاهلية) ، (إنسان ، إنساني ، إنسانية) .

إنسان : حيوان ناطق ، إنساني : هي الصفات التي يتصف بها الإنسان من محبة وعطف وحنان وغير ذلك .

فالجاهلية مأخوذة من الجهل ، والجاهل : اسم فاعل وهو مأخوذ من الجهل ، والجهل : هو عدم العلم أو فقده أو انتفاءه .

و الجهل جا في المذهب المحمود ***** هو انتفاء العلم بالمقصود

ويطلق ويراد به الخفة التي هي خلاف الطمأنينة . ويطلق ويراد به الطيش كما قال عمرو بن كلثوم :-

ألا لا يجهلـــن أحد عليـــنا ***** فيجهل فوق جهل الجاهلينا

مسألة : أنواع الجهل لغة :

-١- خلو النفس من العلم ، وهذا هو الأول (الجهل البسيط).

-٢- اعتقاد الشيء خلاف ما هو عليه (الجهل المركب) .

-٣- فعل الشيء خلاف ما حقه أن يفعل(سواء اعتقد اعتقادا صحيحا أو فاسدا) الدليل على هذا (قالوا أتتخذنا هزوا* قال أعوذ بالله .....) (فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة) .

الجهل يذكر على سبيل المدح تارة وعلى سبيل الذم تارة أخرى : الدليل (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف) : فهذا ليس مذموما .

وتعريفه اصطلاحا :- قال النووي :" وَالْمُرَادُ بِالْجَاهِلِيَّةِ مَا كَانَ فِي الْفَتْرَة قَبْل الْإِسْلَام"[٤] .

وهنا ينتقد النووي مع جلالة قدره في هذا الباب على هذا التعريف ، أين نذهب بحديث (إنك امرؤ فيك جاهلية) ؟ نقول هذا التعريف غير جامع .

قال ابن حجر : " والجاهليه ما قبل الإسلام وقد يطلق في شخص معين أي في حال جاهليته " . وسنأتي لتفصيل في أقسامها .

فالأصل فيها أنها مطلقة وهي المرادة غالبا في نصوص الشرع ، ولا تقبل أن تكون نسبية إلا إذا جاءت قرينة والدليل أنها وردت أربع مرات في القرآن الكريم :-

-١- "ظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ"[آل عمران : ١٥٤]

-٢-أفحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ [المائدة : ٥٠]

-٣- و لَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى [الأحزاب : ٣٣]

-٤-إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ [الفتح : ٢٦]

وهذه الأوصاف لا تدل على تخصيص الجاهلية بالجاهلية النسبية بل هي مطلقة وأحوالها (ظن – حكم – تبرج – حمية) .

قال البخاري في باب المناقب (باب أيام الجاهلية) (القسامة في الجاهلية) (جاء في سيل الجاهلية) (كانت قريش تصوم عاشوراء في الجاهلية) .

إطلاقات الجاهلية :-

-١- ما قبل الإسلام مطلقا .

-٢- ما قبل إسلام الشخص إن كان كافرا .

لا توجد أمة تدرك رسول سابق ورسول لاحق .هذا لا وجود له عالإطلاق .

لا نستطيع إطلاق لفظ الجاهلية بعد الإسلام إلا بعد النظر إلى الجاهلية المطلقة ، فحَدّها بعضهم إلى مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، وينتقد لافتقاده للدليل . وعَمَّمَ بعضهم وأطلقها إلى بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم .

لا يكفر من اتصف بالجاهلية إلا إذا اقترنت معه قرينة تكفره ، فالجاهل قد يكون كافرا أو فاسقا .

أقسام الجاهلية :-

-١- عامة مطلقة (الجاهلية الأولى) .

---

[٤] شرح النووي على مسلم (١ / ١٤٨) .

-٢-خاصة مقيدة (الجاهلية الأخرى) .

و لَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى [الأحزاب : ٣٣] :- وصفها بالأولى لأنها سابقة عن الإسلام يقابلها النوع الثاني وهي ما أتت بعد الإسلام .

الجاهلية المطلقة ارتفعت : إلا عند ابن تيمية باعتبار النظر إلى بلد كل أهله كفر .

الجاهلية المقيدة :- هي التي يوصف بها أشخاص دون أشخاص و مكان دون مكان وزمان دون زمان .وقد تكون في ديار المسلمين أو كثير من الأشخاص (أَرْبَعٌ فِى أُمَّتِى مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ) [٥] ، وحديث (يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ) .

مسألة : هل يتصور غير الجاهلية المقيدة بعد ظهور الإسلام أو بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ؟ الجواب : لا . فانتبه !

مسألة : ما الفرق بين أنت جاهلي و إنك فيك جاهلية ؟

- **أنت جاهلي :- كل صفاتك اتصفت بالجهل .**
- **إنك فيك جاهلية :- أنت مسلم اتصفت بصفة الجاهلية .**

- **ليس كل من وقع في الكفر وقع الكفر عليه :- هذا في غير مسائل الشرك والتوحيد أما مسائل الشرك التوحيد المناقض للتوحيد فكل من وقع بالشرك وقع الشرك عليه وأما ما عدا ذلك كمن أنكر معلوما من الدين بالضرورة وقد يكون يخفى عليه فهذا لا بد من إقامة الحجة ، وما ورد من كلام السلف وغيرهم في إقامة الحجة فهو من هذا النوع وهو أن يكون الشيء قد يخفى على بعض الناس أو يكون الشخص الذي أنكر حديث عهد بإسلام أو نشأ ببادية بعيدة فحينئذ لا بد من إقامة الحجة ولا يترل حكم الكفر عليه مباشرة ، أما الشرك الأكبر والطواف والنذر والذبح لغير الله ونحو ذلك نقول هذا يعتبر كافرا منذ أن فعل الشرك ولا نحتاج إلى إقامة الحجة ، والقول في إقامة الحجة في هذا النوع (قول محدث) لا أصل له عند السلف أي لا يعرف إلا من جهة كلام ابن تيمية ولم يسبق بهذا القول إن لم يوجد .**

مسألة :- قال الله تعالى " وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأولى "[الأحزاب :٣٣] هذه جاهلية أولى فهل هناك ما يقابلها ؟

قال ابن جرير : " عَنْ عَامِرٍ {وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى} قَالَ : الْجَاهِلِيَّةُ الأُولَى : مَا بَيْنَ عِيسَى وَمُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ. وَقَالَ آخَرُونَ : ذَلِكَ مَا بَيْنَ آدَمَ وَنُوحٍ" . وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ ذَلِكَ بَيْنَ نُوحٍ وَإِدْرِيسَ. وَأَوْلَى الأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ أَنْ يُقَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ نَهَى نِسَاءَ النَّبِيِّ أَنْ يَتَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى.وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مَا بَيْنَ آدَمَ وَعِيسَى ، فَيَكُونُ مَعْنَى ذَلِكَ : وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى الَّتِي قَبْلَ الإِسْلاَمِ، فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : أَوَ فِي الإِسْلاَمِ جَاهِلِيَّةٌ حَتَّى يُقَالُ : عَنَى بِقَوْلِهِ {الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى} الَّتِي قَبْلَ الإِسْلاَمِ ؟ قِيلَ : فِيهِ أَخْلاَقٌ مِنْ أَخْلاَقِ الْجَاهِلِيَّةِ.ا.ه بتصرف يسير . [٦]

---

[٥] رواه مسلم والترمذي وغيرهما .

[٦] تفسير الطبري (١٩ /٩٩).

بسم الله الرحمن الرحيم

اقتصر المصنف على البسملة لأنها أوجز الذكر .

هذه: أمور ، خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عليه أهل الجاهلية

- هذه :- اسم إشارة لشيء معنوي .
- خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية :- الاختلاف والمخالفة : هو أن يأخذ كل من الفريقين طريقا غير طريق الآخر ، والخلاف أعم من الضد لأن كل ضد خلاف ولا عكس (النقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان) .
- ما :- سواء من القول والفعل أو الترك .

خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عليه أهل الجاهلية: الكتابيين ،و الأميين ،و مما لا غنى للمسلم عن معرفتها.

- الكتابيين والأميين :- بإسقاط (من) فإعرابه :- مفعول به لفعل محذوف تقديره :(أهل الجاهلية أعني) .
  - نص على الكتابيين لأن الجاهلية ليس وصفا يختص لمن لم يتزل عليهم الكتاب ، لا ، بل الوصف يشمل النوعين .
  - إطلاقنا على أهل الكتاب – وهم النوع الأول من الجاهلية – هذا اللفظ ليس مراعاة لشعورهم كما يظنه بعض المعاصرين الجهلة ، لا بل هو تنبيه وتجيه لهم أن يلتزموا الكتاب الذي أنزل عليهم ولم يؤمنوا به وإلا فنحن نعتقد أنهم كفار فهنا فيه نقص وعيب وذم لهم ، أي أنكم أهل كتاب ومع ذلك فقد حرفتم وبدلتم ولم تستجيبوا للكتاب الذي تزعمون أنكم تنتسبون إليه ومن باب أولى كتاب الله جل وعلا الذي دعا كتابكم إليه .
  - النوع الثاني هم من ليس لهم كتاب ، وهم ما عدا اليهود والنصارى ، ولهذا يقال لهم المشركين والكفار ويدخل فيهم المجوس وعبدة غير الله تعالى أيًّا كان معبودهم .

العهد القديم:- " الأسفار القديمة " هو كتاب موسى عليه السلام " التوراة ".

العهد الجديد :- الكتاب الذي أنزل على عيسى عليه السلام " الإنجيل ".

- الأميين:مفردها أميّ و هو الذي لا يقرأ من كتاب . قال الفراء :- الأمي : من نسب إلى أمة أمية (وهذا بعيد) ونسبة النبي إلى الأمية ليس بعيب ، بل هي منقبة ومفخرة . ا.هـ.
  - أما المجوس : فقد جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : " سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ "[٧] .

وهذا الحديث كالنص ، قال أبو عمر: في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في المجوس "سنوا بهم سنة أهل الكتاب" يعني في الجزية ، دليل على أنهم ليسوا أهل كتاب وعلى ذلك جمهور الفقهاء.[٨]

مما لاغنى للمسلم عن معرفتها

- مما لا غنى للمسلم عن معرفتها :- والسبب في ذلك أن نقول :- لما كانت المباعدة عن هذه الأقوال والأفعال الجاهلية واجبة ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، فدل على أنه يجب على المسلم أن يتعلم أمور الجاهلية حتى يجتنبها .

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه ***** ومن لم يعرف الخير من الشر وقع فيه

---

[٧] رواه مالك والبيهقي والبزار .

[٨] التمهيد (١١٩/٢) .

قال حذيفة :" إن الناس يسألون رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه" ،دل ذلك أن البحث عن الفرق والمذاهب ونحوها من بيان أفكارهم واعتقاداتهم من أهم أمور الدين ، وهذا يبين أهمية هذا العلم .

فالضد يظهر حسنه الضد

وبضدها تتبن الأشياء

- هذان بيتان لا بيت واحد كما ظن بعض النساخ .
- العجز الأول مأخوذ من بيت : (ضدان لما استجمعا حسنا * فالضد يظهر حسنه الضد)

يعني معرفة الضد يجعل هذه المعرفة وهذه المعلومة حسنة ، وكاملة ، فمن كمال معرفة التوحيد معرفة الشرك ، وكذلك السنة ، لتكون علمك كاملا بها فإنك تتعرف على البدعة .

- أما العجز الثاني هو من بيت للمتنبي :– (ونذيمهم وبه عرفنا فضله أو فضلهم * وبضدها تتبين الأشياء) .

فلا يجعل هذان البيتان كبيت واحد ، فهذا من الأخطاء المطبعية .

فأهم ما فيها ، وأشدها خطراً: عدم إيمان القلب ، بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فإن انضاف إلي ذلك استحسان ما عليه أهل الجاهلية ، تمت الخسارة؛ كما قال تعالى: (والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون) [العنكبوت: ٥٢].

- عدم إيمان القلب :– هذا كفر أكبر فإن انضاف استحسان أعمال أهل الجاهلية فتمت الخسارة ، وكما أن عدم إيمان القلب كفر أكبر وهو ركن كذلك عدم إيمان الجوارح هو كفر أكبر ولا نشترط قول اللسان أو القلب وفي ذلك إجماعا ، ولو اشترطناه لوافقنا الجهمية والمرجئة ، كقولهم " لا كفر إلا بالاعتقاد أو التكذيب أو الجحود " .
- أهم وأشد خطرا :هذا يدل على وجود غيرها وما هو دون ذلك وهذا يؤدي إلى الكفر كما سبق بيانه .

- انضاف : انجمع ، على وزن انفعل .
- استحسان : أي عدّهُ حسنا لا قبيحا .
- " والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون " :– قال ابن كثير :" أي: يوم معادهم سيجزيهم على ما فعلوا، ويقابلهم على ما صنعوا، من تكذيبهم بالحق واتباعهم الباطل، كذبوا برسل الله مع قيام الأدلة على صدقهم، وآمنوا بالطواغيت والأوثان بلا دليل، سيجازيهم على ذلك، إنه حكيم عليم"[٩] .

نعيد ونقول : هذه المسائل لا بد من تعلمها وتعليمها حتى لا يشكك المؤمن نفسه ويتردد بين الكفر والإيمان بين الشرك والتوحيد .

المسألة الاولى: أنهم يتعبدون بإشراك الصالحين ، في دعاء الله ، وعبادته ، يريدون شفاعتهم عند الله ، كما قال تعالى: (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) [يونس: ١٨] وقال تعالى: (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلي الله زلفى) [الزمر: ٣] وهذه: أعظم مسألة ، خالفهم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتى بالإخلاص ، وأخبر أنه دين الله ، الذي أرسل به جميع الرسل.

---

[٩] تفسير ابن كثير (٦/٢٨٨) .

مضمون المسألة الأولى :- بيان دين المشركين المبني على أربعة أمور :-

-١- يعبدون من دون الله أو يعبدون الله ويشركون معه غيره .

-٢- يريدون شفاعتهم.

-٣- ظنهم أن الله يحب ذلك .

-٤- ظنهم أن الصالحين يحبون ذلك .

(ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاءنا عند الله) : أي أنهم يعبدون من دون الله عز وجل ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقرون بذلك ، أنها لا تنفع ولا تضر ، إذا هم يعتقدون بهذا و إذا هناك آلهة حقيقة مسؤولة عن ذلك ، والسؤال :- لماذا يعبدون هذه الأصنام ؟ يقولون : هؤلاء شفعاءنا عند الله ، هذا هو دين المشركين هذه هي شبهتهم قديما وحديثا ، يقولون نحن مذنبون والمذنب بعيد عن الله عز وجل ، وهؤلاء الصالحون لهم جاه وولاية عبد الله فحينئذ يطلبون منهم أن يتوسطوا في دفع الضر وجلب النفع ، ويسمونه شفاعة أو توسلا ولا يسمونه شركا ، لأنهم لو أقروا بذلك لعلموا أنهم ليسوا على الجادة الحق . أهل السنة لا ينظرون إلى الاسم وإنما ينظرون إلى المسمى .

وقال تعالى: (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلي الله زلفى) [الزمر: ٣] : أهم وصف لأهل الجاهلية أنهم جعلوا أولياءهم شركاء مع الله عز وجل وهذه أهم مسألة ولهذا جاء النبي صلى الله عليه وسلم فخالفهم وناقضهم وجاء بالإخلاص (أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ) (قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَّهُ دِينِي [الزمر : ١٤]) (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء).

المشركون عرفوا معنى التوحيد الذي جهله بعض المنتسبين إلى الإسلام (قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللّهَ وَحْدَهُ) .

وأنه لا يقبل من الأعمال إلا الخالص؛ وأخبر؛ أن من فعل ما يستحسنونه ، فقد حرم الله عليه الجنة ، ومأواه النار؛ وهذه المسألة ، هي: التي تفرق الناس لأجلها ، بين مسلم ، وكافر؛ وعندها وقعت العداوة ، ولأجلها شرع الجهاد ، كما قال تعالى: (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) [الأنفال: ٣٩].

(إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ) أن يشرك به :- الشرك الأكبر .

هذه المسألة هي التي تفرق الناس لأجلها وهي التوحيد (مَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ) (إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ [الصافات : ٣٥) (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ) .

- كل من ليس بمسلم كافر ، والكفر يدخل فيه أهل الكتاب وغيرهم (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، مَا يَسْمَعُ بِي مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ يَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرَانِيٍّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلاَّ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ) (فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ) .
- إذا وقعت العداوة فلا بد من الافتراق ، لأنه من وافق الأنبياء وخالف أعدائهم يستحيل أن يجالس من خالفهم وهو أمر مدرك بالشرع والنظر والواقع (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ) .
- وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة : الفتنة هي الشرك .وقاتلوهم هذا فعل أمر يدل على الوجوب ،وليس الجهاد فقط جهاد دفع ، بل جهاد دفع وطلب وهذا لا شك فيه .
- **مايجب علينا ضد المشركين :-**

-١- عداوتهم واعتقاد كفرهم ، بالقلب واللسان والجوارح وإطلاق وصف الكفر عليهم .

-٢- دعوتهم للتوحيد .

-٣- جهادهم ، إلا أهل الكتاب يؤمرون بالإسلام فإن أبوا فالجزية فإن أبوا فالجهاد .

- الواقع في الكفر : إما أكبر فهذا كافر خارج من الملة ، ولاعذر بالجهل البتة ، يسمى مشركا فالاسم والوصف واقع بإجماع السلف ، ثم أمور الدنيا المترتبة عليه فبإجماع السلف ترتب عليه فمن وقع من أمة محمد صلى الله عليه وسلم بالشرك الأكبر فهو مشرك نرتب عليه والحكم ولا نعذره في هذه المسألة ، كمن قال من منافقي أيامنا أن الشريعة لا تصلح في هذا الزمن وأنه ثمة مباينة ومفارقة فلو سلكنا طريق اليهود والنصارى للحقناهم .
- وإما من جهة ما علم من الدين بالضرورة فهذه ينظر فيها ، فإن كان الفاعل حديث عهد بإسلام ، أو ناشئ في دار الكفر ، أو في بادية بعيدة فهؤلاء الذين يعذرون بجهلهم إن كانوا مقصرين في البحث عن التوحيد ، فلا يكفرون حتى تقان عليهم الحجة ، فإن لم يقبل فحينئذ يكْفُر .
- سئل الشيخ بعد الدرس عن رجل يقول : إن السجود للصنم لا يكون كفرا . قال الشيخ : يخشى عليه هو أن يقع في الكفر. وضحك هنا .
- من لوازم صدق التوحيد الموالاة للإسلام والبراءة من الشرك والمشركين . وهذه مسألة عظيمة يجب التحدث عنها صباح مساء بمعرفة أحكامها ونواقضها وشروطها وغير ذلك .

المسألة الثانية: أنهم متفرقون في دينهم ، كما قال تعالى: (كل حزب بما لديهم فرحون)[الروم: ٣٢] وكذلك في دنياهم ، ويرون ذلك هو الصواب ، فأتى بالاجتماع في الدين بقوله: (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه)[الشورى: ١٣] وقال تعالى: (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) [الأنعام: ١٥٩] ونهانا عن مشابهتهم بقوله: (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات) [آل عمران: ١٠٥] ونهانا عن التفرق في الدين ، بقوله: (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) [آل عمران: ١٠٣].

- متفرقون : مأخوذ من التفريق ، على وزن تفعيل ، وهي صيغة مبالغة تفيد التكثير وتستعمل لتشتيت الشمل والكلمة ، ويكون بين شيئن أو أكثر (إن الذين فرقوا دينهم) لزم منه مفارقة الأبدان .

- قال شيخ الإسلام : " اعلم أن الله سبحانه وتعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم إلى الخلق على فترة من الرسل وقد مقت أهل الأرض : عربهم وعجمهم ، إلا بقايا من أهل الكتاب ماتوا – أو أكثرهم – قبل مبعثه .

والناس إذ ذاك أحد رجلين : إما كتابي معتصم بكتاب : إما مبدل ، وإما مبدل منسوخ ودين دارس ، بعضه مجهول ، وبعضه متروك ، وإمّا أميّ من عربي وعجمي ، مقبل على عبادة ما استحسنه ، وظن أنه ينفعه : من نجم ، أو وثن ، أو قبر ، أو تمثال ، أو غير ذلك . والناس في جاهلية جهلاء ، من مقالات يظنونها علما وهي جهل ، وأعمال يحسبونها صلاحا وهي فساد . وغاية البارع منهم علما وعملا ، أن يحصل قليلا من العلم الموروث عن الأنبياء المتقدمين ، قد اشتبه عليهم حقه بباطله . "

العرب مختلفون في عباداتهم فمنهم من يعبد الشمس ومنهم من يعبد القمر ومنهم من يعبد الملائكة أو الأولياء أو الصالحين .

وهذه القاعدة الرابعة من القواعد الأربع .

- كل حزب بما لديهم فرحون : – وهذا هو حقيقة التفرق أن كل حزب فرح بما لديه من عقائد باطلة .
- ويرون : الرؤيا القلبية .

- (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ... الآية) : قال ابن كثير : " والظاهر أن الآية عامة في كل من فارق دين الله وكان مخالفًا له، فإن الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وشرعه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق، فمن اختلف فيه { وَكَانُوا شِيَعًا } أي: فرقًا كأهل الملل والنحل –وهي الأهواء والضلالات –فالله (٦) قد بَرَّأ رسوله مما هم فيه. وهذه الآية كقوله تعالى: { شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ [وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ] } (٧) الآية[الشورى :١٣] ، وفي الحديث: "نحن معاشر الأنبياء أولاد عَلات، ديننا واحد ، فهذا هو الصراط المستقيم، وهو ما جاءت به الرسل، من عبادة الله وحده لا شريك له، والتمسك بشريعة الرسول المتأخر، وما خالف ذلك فضلالات وجهالات وآراء وأهواء، الرسل بُرآء منها، كما قال: { لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ }".[١٠]

قال ابن عباس :– أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهى عن المراء والخصومات في دين الله .

- أن أقيموا الدين :– هذا هو المطلوب منا .
- ونهانا عن مشابهتهم والدليل (ولا تكونوا كالذين فرقوا دينهم) الكاف كاف تشبيه ، وهنا جاء بالصلة وموصولها ولم يأت بالمشتق مباشرة ليبين العلة وسبب النهي (أي لا تكونوا مثلهم متفرقون ومختلفون) قال ابن جرير :– " وَلاَ تَكُونُوا يَا مَعْشَرَ الَّذِينَ آمَنُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَاخْتَلَفُوا فِي دِينِ اللَّهِ وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ مِنْ حُجَجِ اللَّهِ ، فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ، وَعَلِمُوا الْحَقَّ فِيهِ ، فَتَعَمَّدُوا خِلاَفَهُ ، وَخَالَفُوا أَمْرَ اللَّهِ ، وَنَقَضُوا عَهْدَهُ وَمِيثَاقَهُ ، جَرَاءَةً عَلَى اللَّهِ وَأُولَئِكَ لَهُمْ : يَعْنِي وَلِهَؤُلاَءِ الَّذِينَ تَفَرَّقُوا ، وَاخْتَلَفُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ عَذَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَظِيمٌ. ". ١١
- ونهانا عن التفرق في الدنيا (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) أي في الدنيا فحينئذ تقع العداوة والجدل وغيرها .

المسألة الثالثة: أن مخالفة ولي الأمر عندهم ، وعدم الانقياد له ، فضيلة ، والسمع والطاعة ،ذل ، ومهانة؛ فخالفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بالصبر على جور الولاة وأمر بالسمع والطاعة لهم ، والنصيحة ، وغلظ في ذلك ، وأبدى فيه وأعاد ، وهذه الثلاث ، التي جمع بينها فيما ذكر عنه ، في الصحيحين أنه قال: " إن الله يرضى لكم ثلاثا ، أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ، ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم " ولم يقع خلل في دين الناس ، ودنياهم ، إلا بسبب الإخلال بهذه الثلاث ، أو بعضها.

أي أنهم كانوا أصحاب فوضى وذلك راجع إلى المسألة السابقة لأنهم متفرقون في دنياهم ولعدم إقرارهم لولي يحكمهم لأنهم يرون أن جعل السمع والطاعة لشخص واحد من الذلة والمهانة .

- الولي : كل من قام بأمر وحكم به .
- السمع : قوة في الأذن تُدْرك بها الأصوات ، وتطلق ويراد بها الفهم أو الطاعة . (سمعنا وعصينا) أي : فهمنا أمرك ، وضد السمع الكره ، (وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها) .
- جور الولاة : الظلم .
- وأمر بالسمع : أمر إيجاب ، وليس المأمور به هو السمع فحسب ، لا ، بل السمع وما أثمر عنه من طاعة وانقياد .

---

[١٠] تفسير ابن كثير (٣ / ٣٧٧) .

[١١] تفسير الطبري (٥ / ٦٦٢) .

- أولوا الأمر : العلماء ، وقيل : الأمراء .
  - لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، إنما الطاعة في المعروف :- وهذا قيد في طاعة الأمراء وولاة الأمور ، إنما هي في المعروف ، مما جاء به الشرع ، أو كان مباحا ، فإن كان مما جاء به الشرع " مثل الصلاة أو الزكاة أو الجهاد " فهذه طاعة لله أولا ثم طاعة لهم ثانيا ، وقد يكون من الأمور المباحة :- فتكون طاعة لهم ، وتكون عند ذلك طاعة لله جل وعلا .
- النصيحة :- إرادة الخير للمنصوح ، وأصل النصح في اللغة الخلوص ، نصحت العسل إذا خلصته من الشمع .
  - قال ابن رجب :- " والنصيحة لأئمة المسلمين معاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وتذكيرهم به وتنبيههم في رفق ولطف ومجانبة الوثوب عليهم والدعاء لهم بالتوفيق وحث الأغيار على ذلك "١٢.
  - فكل ما يعين ولاة الأمور على إقامة الشرع فهو مأمور به .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– « إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلاَثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاَثًا فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ » ، قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (١٨/١) :- " فَقَدْ جَمَعَ فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَ الْخِصَالِ الثَّلَاثِ ؛ إخْلَاصِ الْعَمَلِ لِلَّهِ وَمُنَاصَحَةِ أُولِي الْأَمْرِ وَلُزُومِ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَهَذِهِ الثَّلَاثُ تَجْمَعُ أُصُولَ الدِّينِ وَقَوَاعِدَهُ وَتَجْمَعُ الْحُقُوقَ الَّتِي لِلَّهِ وَلِعِبَادِهِ ، وَتَنْتَظِمُ مَصَالِحَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .".

وكذلك حديث العرباض بن سارية ، (أُوصِيكمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا) ، قال ابن رجب :- " فهاتان الكلمتان تجمعان سعادةَ الدُّنيا والآخرة . " ثم قال :- " وأمّا السَّمع والطاعة لوُلاة أُمور المسلمين ، ففيها سعادةُ الدُّنيا، وبها تنتظِمُ مصالحُ العباد في معايشهم ، وبها يستعينون على إظهار دينهم وطاعةِ ربِّهم ، كما قال عليٌّ – رضي الله عنه – : إنَّ الناسَ لا يُصلحهم إلاَّ إمامٌ بَرٌّ أو فاجر ، إنْ كان فاجراً عبدَ المؤمنُ فيه ربَّه ، وحمل الفاجر فيها إلى أجله. وقال الحسن في الأمراء : هم يلونَ من أمورنا خمساً : الجمعةَ والجماعة والعيد والثُّغور والحدود ، والله ما يستقيم الدِّين إلاَّ بهم ، وإنْ جاروا وظلموا ، والله لَمَا يُصْلحُ الله بهم أكثرُ مِمَّا يُفسدون ، مع أنَّ – والله – إنَّ طاعتهم لغيظٌ ، وإنَّ فرقتهم لكفرٌ " .

- ما يقع من الولاة أمران :-

١–مخرج من الملة :- ويشترط أن يقام عليهم من الله تعالى برهان ، يعني يكون الكفر واضحا لا يختلف فيه اثنان .

٢– يكون كفرا دون كفر ، وهذا هو المقصود من الحديث (مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ) ، هذا هو التوجيه الصحيح ، ولم يأمره أن يغيره بيده لأنه منكر ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقل فليغيره بيده ، أو يجب عليه أن يبين له مباشرة حتى لا يموت وهو كاتم للعلم وليبين للعوام .

قال النووي رحمه الله تعالى :- " قَوْله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (وَمَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَة مَاتَ مِيتَة جَاهِلِيَّة) هِيَ بِكَسْرِ الْمِيم ، أَيْ : عَلَى صِفَة مَوْتهمْ مِنْ حَيْثُ هُمْ فَوْضَى لَا إِمَام لَهُمْ . " شرح مسلم (٣٢٢/٦) .

قال ابن حجر :- " والمراد بالميتة الجاهلية وهي بكسر الميم حالة الموت كموت أهل الجاهلية على ضلال وليس له امام مطاع لأنهم كانوا لا يعرفون ذلك ".(الفتح ٧/١٣)

عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– قَالَ « خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ ». قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلاَ نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ فَقَالَ « لاَ مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلاَةَ وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وُلاَتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ وَلاَ تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ ».وهذا فيه توجيه مخصص للأحاديث الواردة التي جاءت من ناحية معاملة ولاة الأمور في إنكار المنكر وهي من جهة العموم .

---

١٢ جامع العلوم والحكم : الحديث السابع .

المسألة الرابعة: أن دينهم مبني على أصول ، أعظمها: التقليد؛ فهو: القاعدة الكبرى ، لجميع الكفار ، أولهم وآخرهم، كما قال تعالى: (وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) [الزخرف: ٢٣] وقال تعالى: (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان الشيطان يدعوهم إلي عذاب السعير) [لقمان: ٢١] فأتاهم بقوله: (قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة) [سبأ: ٤٦] وقوله: (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون) [الأعراف: ٣].

- أصول : جمع أصل ، وهو ما يبنى عليه غيره ، وهذه أصول مستمدة ليست من شرائع سابقة .
- التقليد : تفعيل من قلد الشيء ، وفي اللغة : قلّده : ماثله وشابهه ، وهو اتباع من لم يكن باتباعه حجة ، وكان المتبوع لم يأذن الله تعالى باتباعه ، أو قبول الغير بلا دليل أو حجة .
- لجميع الكفار :– أولهم وآخرهم ، والدليل على ذلك (وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ (٣٤)) ، قال قرية وهي نكرة ، ونذير وهي نكرة ، والقاعدة أن النكرة تعم ز
- الرفاهة : رغد العيش ، وسعة الرزق والخصب والنعم ، فهم أهل الجاه والمال .

أما التقليد في الحق فهو محمود ، ولا يسمى تقليدا ، بل هو ابتاع واقتداء ، قال تعالى : (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ) قال اتبعوا ، وهذا فعل أمر والأمر يقتضي الوجوب فالاتباع واجب ، وقال الله : (واتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبائِـــي إِبْرَاهِيمَ) ، (وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ) فالاتباع بلا دليل هو التقليد ، وهذا مذموم شرعا .

- قال الله تعالى في ذم التقليد (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ (١٧٠)) وقال قوم هود : (قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) وقال قوم صالح : (قَالُواْ يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ) وقال قوم شعيب :(قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ) وقال الله مخاطبا النبي :(فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلاء مَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ) (فَقَالَ الْمَلأ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاء اللَّهُ لأَنزَلَ مَلاَئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ) وقال قوم موسى :(فَلَمَّا جَاءهُم مُّوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ) وقال الله :(وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ) وقال الله عن المنافقين : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ).
- أما علاج التقليد فهو التفكّر والتفكير ، قال الله : (قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ) .

المسألة الخامسة: أن من أكبر قواعدهم ، الاغترار بالأكثر ، ويحتجون به على صحة الشيء ، ويستدلون على بطلان الشيء ، بغربته ، وقلة أهله ، فأتاهم بضد ذلك ، وأوضحه في غير موضع من القرآن.

- ملخصها : العبرة بالأكثرية ، فما كان عليه الأكثر فهو حق ، والقليل هو الباطل ، دون النظر إلى الدليل ، ولكن الحق والصواب أن الكثرة تكون حقا بدليلها وأن الباطل يكون حقا بدليله . قال الله تعالى : (وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ) (وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ)(وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ)(وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا)(وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ (٣٤) وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٣٥))(إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ)(وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الأَوَّلِينَ) وقال في مدح القلة التي معها الحق : (حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ)(وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ).

. السادسة: الاحتجاج بالمتقدمين ، كقوله: (فما بال القرون الأولى: [طه: ٥١] (ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين) [المؤمنون: ٢٤].

هذه المسألة قريبة من المسألة الرابعة ، وهي الاحتجاج بما كان عليه المتقدمين من غير تحكيم للعقل ولا النظر في الدليل .

– قوله (فمال بال القرون الأولى) : قال ابن كثير : "أصح الأقوال في معنى ذلك: أن فرعون لما أخبره موسى بأن ربه الذي أرسله هو الذي خلق ورزق وقدر فهدى، شرع يحتج بالقرون الأولى، أي: الذين لم يعبدوا الله، أي: فما بالهم إذا كان الأمر كما تقول، لم يعبدوا ربك (٥) بل عبدوا غيره؟ فقال له موسى في جواب ذلك: هم وإن لم يعبدوه فإن عملهم (٦) عند الله مضبوط عليهم، وسيجزيهم بعملهم في كتاب الله، وهو اللوح المحفوظ وكتاب الأعمال، { لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى } أي: لا يشذ عنه (٧) شيء، ولا يفوته صغير ولا كبير، ولا ينسى شيئًا. يصف علمه تعالى بأنه بكل شيء محيط، وأنه لا ينسى شيئًا، تبارك وتعالى وتقدس، فإن علم المخلوق يعتريه نقصانان (٨) أحدهما: عدم الإحاطة بالشيء، والآخر نسيانه بعد علمه، فنزه نفسه عن ذلك "[١٣].

قال قوم هود : " إن هذا إلا اختلاق " قال ابن عباس : دين الأولين ، وقال كفار قريش : " ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق " الملة الآخرة : النصرانية ، اختلاق : كذب.

المسألة السابعة: الاستدلال بقوم ، أعطوا قوى في الأفهام والأعمال ، وفي الملك ، والمال ، والجاه؛ فرد الله ذلك بقوله: (ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه) الآية [الأحقاف: ٢٦]وقوله (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به) [البقرة: ٨٩] وقوله: (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) الآية [البقرة: ١٤٦].

---

[١٣] تفسير ابن كثير (٥ /٢٩٨) .

يحتجون بالأقوام السابقة بأن لهم ملك وجاه وسلطان وأموال ،(وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا).

- (ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه) :- قال ابن جرير : " يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِكُفَّارِ قُرَيْشٍ : وَلَقَدْ مَكَّنَّا أَيُّهَا الْقَوْمُ عَادًا الَّذِينَ أَهْلَكْنَاهُمْ بِكُفْرِهِمْ فِيمَا لَمْ نُمَكِّنْكُمْ فِيهِ مِنَ الدُّنْيَا ، وَأَعْطَيْنَاهُمْ مِنْهَا الَّذِي لَمْ نُعْطِكُمْ مِنْهُمْ مِنْ كَثْرَةِ الأَمْوَالِ ، وَبَسْطَةِ الأَجْسَامِ ، وَشِدَّةِ الأَبْدَانِ. "ثم قال عن قتادة " قَوْلَهُ : {وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ} : أَنْبَأَكُمْ أَنَّهُ أَعْطَى الْقَوْمَ مَا لَمْ يُعْطِكُمْ.

- وَقَوْلُهُ : {وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا} يَسْمَعُونَ بِهِ مَوَاعِظَ رَبِّهِمْ ، وَأَبْصَارًا يُبْصِرُونَ بِهَا حُجَجَ اللَّهِ ، وَأَفْئِدَةً يَعْقِلُونَ بِهَا مَا يَضُرُّهُمْ وَيَنْفَعُهُمْ {فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلاَ أَبْصَارُهُمْ وَلاَ أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ} يَقُولُ : فَلَمْ يَنْفَعْهُمْ مَا أَعْطَاهُمْ مِنَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْفُؤَادِ إِذْ لَمْ يَسْتَعْمِلُوهَا فِيمَا أُعْطُوهَا لَهُ ، وَلَمْ يُعْمِلُوهَا فِيمَا يُنْجِيهِمْ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ ، وَلَكِنَّهُمُ اسْتَعْمَلُوهَا فِيمَا يُقَرِّبُهُمْ مِنْ سَخَطِهِ ". [14]

- وقوله (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به):قال ابن كثير : "أي: وقد كانوا من قبل مجيء هذا الرسول بهذا الكتاب يستنصرون بمجيئه على أعدائهم من المشركين إذا قاتلوهم، يقولون: إنه سيبعث نبي في آخر الزمان نقتلكم معه قتل عاد وإرم" ثم قال :" وقال أبو العالية: كانت اليهود تستنصر بمحمد صلى الله عليه وسلم على مشركي العرب، يقولون: اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده مكتوبًا عندنا حتى نعذب المشركين ونقتلهم. فلما بعث الله محمدًا صلى الله عليه وسلم، ورأوا أنه من غيرهم، كفروا به حسدًا للعرب، وهم يعلمون أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله: { فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ } " [15].

- وقوله: (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) الآية : قال القرطبي : " وروي أن عمر قال لعبد الله بن سلام: أتعرف محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما تعرف ابنك؟ فقال: نعم وأكثر، بعث الله أمينه في سمائه إلى أمينه في أرضه بنعته فعرفته، وابني لا أدري ما كان من أمه. " [16].

وجه الاستدلال : أن الله أخبر عن اليهود وأنهم يعرفون سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم و ولكن لما كان هذا العلم من غير ثمرة صار مردودا على صاحبه ، ولهذا : ليس كل من أوتي علما انتفع به .قال بعض السلف : " القرآن حجة لك أو حجة عليك " ، ولهذا فإنه لا يقتدى بمن أوتي علما ولم يكن علمه مصاحبا بعمل، وإنما يقتدى بأهل العلم والعمل .

- ولهذا فإن الله قسم الطوائف إلى ثلاث كما في سورة البقرة .
- قال الله تعال : (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ...) :هذا الإتيان ليس قدحا حتى ننظر ما هي ثمرة هذا العلم ، انتبه لهذا ، فحينئذ ليس كل من أوتي فهما أو قوة حافظة أو علما لإانه ممدوح ، لا ، بل حتى ننظر إلى ثمرة هذا العلم ،وهو العمل ، وإلا فإنه توجد فيك شبهة من شبه أهل الجاهلية .

نحن مأمورون بمتابعة النبي صلى الله عليه وسلم لا مخالفته (وما آتاكم الرسول فخذوه ....) وقال صلى الله عليه وسلم (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) .ومنهيون عن متابعة العلماء من غير دليل .

الثامنة: الاستدلال على بطلان الشيء ، بأنه لم يتبعه إلا الضعفاء ، كقوله: (أنؤمن لك واتبعك الأرذلون) [الشعراء: ١١١] وقوله: (أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) فرده الله بقوله: (أليس الله بأعلم بالشاكرين) [الأنعام: ٥٣].

انتبه :- هذه المسائل موجودة في أمتنا الآن ، فطبق عليها أولا عصرنا ، كما بعد فهمنا لها على حالتها في الأمم السابقة .

---

[14] تفسير ابن جرير (١٦٠/٢١).

[15] تفسير ابن كثير (٣٢٥/١) وما يليها .

[16] تفسير القرطبي (٢ /١٦٣) .

- الأرذلون : سفة الناس .

التاسعة: الاقتداء بفسقة العلماء، فأتى بقوله: (يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله) [التوبة: ٣٤] وبقوله: (لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل) [المائدة: ٧٧].

الأحبار من اليهود ، والرهبان من النصارى ، (لولا ينهاهم الربانيون عن قولهم الإثم) ، (ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا) ، قال ابن كثير :" والمقصود: التحذير من علماء السوء وعُبَّاد الضلال (١) كما قال سفيان بن عيينة: من فسد من علمائنا كان فيه شبه من اليهود، ومن فسد من عُبَّادنا كان فيه شبه من النصارى. وفي الحديث الصحيح: "لتركبنّ سَنَن من كان قبلكم حَذْو القُذّة بالقُذّة". قالوا: اليهود والنصارى؟ قال: "فمن؟". وفي رواية: فارس والروم؟ قال: "وَمَن الناس إلا هؤلاء؟ والحاصل التحذير من التشبه بهم في أحوالهم وأقوالهم؛ ولهذا قال تعالى: { لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ } وذلك أنهم يأكلون الدنيا بالدين ومناصبهم ورياستهم في الناس، يأكلون أموالهم بذلك، كما كان لأحبار اليهود على أهل الجاهلية شرف، ولهم عندهم خَرْج وهدايا وضرائب تجيء إليهم، فلما بعث الله رسوله، صلوات الله وسلامه عليه استمروا على ضلالهم وكفرهم وعنادهم، طمعا منهم أن تبقى لهم تلك الرياسات، فأطفأها الله بنور النبوة، وسلبهم إياها، وعوضهم بالذلة والمسكنة، وباءوا بغضب من الله "١٧. ، التحذير من علماء السوء وهذا مما ينبغي التنبه له ، وإن كانت النفوس لا تقدر على أن تصف عالما أنه عالم سوء أو أنه فاسق ، لأنه قد يقع بنفسه أنه أوتي علما فيستدل بالعلم على الحق ، لا ، ليس كل من أوتي علما وحفظا وفهما وإن حفظ ما حفظ أو وصل إلى ما وصل إليه ، لا يلزم من ذلك أن ينفى عنه وصف الضلال ، أو الفسق ، فمن توقف عن الاقتداء بالعلماء الربانيين واقتدى بعلماء السوء خشية من قوة حفظهم وفهمهم نقول هذا فيه شَبَه من أهل الجاهلية .

- لا يلزم من ثبوت العلم انتفاء الضلال أو الفسق عن ذلك العالم .
- الضال من العلماء فتنة لنفسه ولغيره من الناس لأنهم يقتدون به .

وجه الاستدلال أن الله تعالى نهى علماء الكفار عن الاقتداء بعلماءهم السابقين ، والمسلمين من باب أولى .

(اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) أرباب : يحلون ما حرم الله ويحرمون ما أحل الله . (وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا) (حتى إذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم آتهم عذابا ضعفا من النار) ،(إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب) .

- الذين يقتدى بهم : هم الأنبياء والرسل وأتباعهم من العلماء الراسخين الربانيين .

العاشرة: الاستدلال على بطلان الدين، بقلة أفهام، أهله، وعدم حفظهم – وفي نسخة : حذق – ، كقوله: (بادي الرأي) [هود: ٢٧].

---

١٧ تفسير ابن كثير (١٣٨/٤)

ولهذا نجد ألفاظا وألقابا ينبز بها أهل الحق " رجعيون ، متفلسفون ، متزمتون ، إلى غير ذلك " ، قال تعالى :" وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي " ولم يتبعك الأشراف ولا الرؤساء منا ، فهذا هو دليلهم ، " إن الرسول الذي ألرسل إليكم لمجنون " ، " أنؤمن كما آمن السفهاء "

- أفهام : هيئة للإنسان يتحقق بها معان ما يحصل .
- حذق : يقال حذق فلان في العمل :أي مهر فيه .

الحادية عشر: الاستدلال بالقياس الفاسد، كقوله: (إن أنتم إلا بشر مثلنا) [إبراهيم: ١٠]، الثانية عشر: إنكار القياس الصحيح؛ والجامع لهذا وما قبله: عدم فهم الجامع، والفارق.

- القياس : هو إلحاق جمع لأصل لحكم جامع بينهما " راجع كتب الأصول " .
  - إذا اختل ركن بشرط من شروطه صار القياس باطلا فاسدا ،فلا يصح الاستدلال به .

والسبب في ذلك – أي أنهم يأخذون بالقياس الفاسد وينكرون القياس الصحيح – أنهم لم يفهموا الجامع والفارق ، ففرقوا المجتمعات ، وجمعوا المفترقات .

- الجامع والفارق : هي العلة .
- (إن أنتم إلا بشر مثلنا) : جعلوا أنفسهم أصلا والأنبياء فرعا ، والجامع البشرية ، النتيجة : أنكم لا تكونون أنبياء ولا رسلا ، لأن الله لو أراد بعث الرسل لأرسل ملائكة ، وهذا قياس غير صحيح ، وأول من قاس هذا القياس الفاسد هو إبليس .
- من أمثلة القياس الفاسد : (إنما البيع مثل الربا) ،(زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا ..) .
- (وضرب لنا مثلا) : هذا قياس فاسد ، (ونسي خلقه) قياس صحيح .

الثالث عشر: الغلو في العلماء، والصالحين، كقوله: (يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق) [النساء: ١٧١].

وهذه المسألة مهمة جدا ، نذكرها مفصلة في شرح كتاب التوحيد .

- الغلو : هو مجاوزة الحد ، فلا يجوز رفع أقدار الأنبياء والصالحين فوق حدهم الواجب ، فاليهود رفعت قدر عزير ، والنصارى رفعت قدر عيسى عليه السلام ، والشيعة رفعت قدر علي رضي الله عليه والأئمة الاثنا عشرية ، والصوفية رفعت قدر الأنبياء والأولياء .
- (يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق) : هذا النهي للتحريم ،لا تغلوا في دينكم : هذه عامة فتشمل جميع أمور الدين .

(وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ...) (ولا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم) .

الرابعة عشر: أن كل ما تقدم، مبني على قاعدة، وهي: النفي، والإثبات؛ فيتبعون الهوى، والظن، ويعرضون عما آتاهم الله.

- الهوى : ما تميل إليه النفس بشهوة ، (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه) .
- الظن : اسم لما يحصل عن امارة ، وما قويت ارفعت للعلم ، وإن ضعفت نزلت للوهم ،
  - القاعدة عندهم : إثبات ما نفاه الله (الشرك) ونفي ما أثبته الله (التوحيد الخالص) ، والعياذ بالله ، قال تعالى (وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) .
  - قال ابن تيمية : " وَأَضَلُّ الضَّلَالِ " اتِّبَاعُ الظَّنِّ وَالْهَوَى كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي حَقِّ مَنْ ذَمَّهُمْ "١٨.

الخامسة عشر: اعتذارهم عن اتباع الله، بعدم الفهم، كقوله: (قلوبنا غلف) [البقرة: ٨٨] (يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول) [هود: ٩١] فأكذبهم الله، وبين أن ذلك بسبب الطبع على قلوبهم؛ والطبع: بسبب كفرهم.

- اعتذارهم : من العذر ، وهو تحري الإنسان ما يمحو به ذنوبه ، كقولهم " لم أفعل لأجل كذا) .
- وهذه مجرد دعوى باطلة ، (وقالوا قلوبنا غلف) ، غلف : جمع أغلف ، كأحمر : حمر ، وهو الذي لا يفقه ، وأصله أغلف وغلاف ، ومعنى الآية : قلوبنا عليها غلاف فلا نفقه ما تريده ، أو مملوءة بالعلم فلا نسمع كلامك .

قال ابن جرير الطبري : " عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ : الْقُلُوبُ أَرْبَعَةٌ . ثُمَّ ذَكَرَهَا ، فَقَالَ فِيمَا ذَكَرَ : وَقَلْبٌ أَغْلَفُ : مَعْصُوبٌ عَلَيْهِ ، فَذَلِكَ قَلْبُ الْكَافِرِ. "١٩ .

- وهذه المسألة قريبة لمن يحتج بالقدر .

- (قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول) : وهو دعاهم للتوحيد ، وهو رفضوه ، فعاقبهم الله تعالى بالغلف . فعلة عدم الفهم ، الطرد والابعاد عن رحمة الله ، وهذه من أهم أسباب قلة وعدم الفهم ، (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) فلما انحرفوا عن قبول الحق حرفهم الله عنه قلبا وقالبا .

وكذلك كفار قريش : (وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه) .

- أكنة : أغطية ، وغلف مغطاة ، ولهذا فكفار قريش احتجوا وقالوا بثلاثة أشياء ، القلوب والآذان والأبصار ، (قلوبنا في أكنة)(وفي آذاننا وقر)(ومن بيننا وبينك حجاب) ، وذكر الثلاث مجتمعة هي وسائل العلم ، وأصله القلب ، (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا) .

السادسة عشر: اعتياضهم عما أتاهم من الله، بكتب السحر، كما ذكر الله ذلك، في قوله: (نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان) [البقرة: ١٠١ – ١٠٢].

- اعتياضهم : من العيض ، وهو البدل والخلف ، وأخذ العوض ، فالأصل أن يأخذوا الحق من الرسل ، من عند الله تعالى ، ولكنهم (نبذوه وراء ظهورهم) (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان) .

---

١٨ مجموع الفتاوى (٣ /٣٨٤) .

١٩ تفسير ابن جرير (٢٢٧/٢) .

قال ابن كثير : " أي: اطَّرَحَ طائفة منهم كتاب الله الذي بأيديهم، مما فيه البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وراء ظهورهم، أي: تركوها، كأنهم لا يعلمون ما فيها، وأقبلوا على تعلم السحر واتباعه. ولهذا أرادوا كيْدًا برسول الله صلى الله عليه وسلم وسَحَروه في مُشْط ومُشَاقة وجُفّ طَلْعَة ذَكر، تحت راعوثة بئر ذي أروان. وكان الذي تولى ذلك منهم رجل، يقال له: لبيد بن الأعصم، لعنه الله، فأطلع الله على ذلك رسوله صلى الله عليه وسلم، وشفاه منه وأنقذه، كما ثبت ذلك مبسوطًا في الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين، رضي الله عنها، قال (٦) السدي: { وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ } قال: لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم عارضوه بالتوراة فخاصموه بها، فاتفقت التوراة والقرآن، فنبذوا التوراة وأخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت، فلم يوافق القرآن، فذلك قوله: { كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ } وقال قتادة في قوله: { كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ } قال: إن القوم كانوا يعلمون، ولكنهم نبذوا علمهم، وكتموه وجحدوا به. "[٢٠].

السابعة عشر: نسبة باطلهم إلى الأنبياء، كقوله: (وما كفر سليمان) [البقرة: ١٠٢] وقوله: (ما كان يهودياً ولا نصرانياً) [البقرة].

إذا أرادوا ترويج باطلهم نسبوه إلى الحق ، (الأنبياء ، العلماء ، الصالحين) كمن يضع نصا وينسبه إلى الأحاديث ،حتى من يسمعهم يعتقده حقا .

(ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ..) قال ابن عباس :" اجتمعت أحبار اليهود والنصارى ، فقالت الأحبار: والله ما كان إبراهيم إلا يهوديا ، وقالت النصارى : والله ما كان إبراهيم إلا نصرانيا ، فأنزل الله (ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ..) .

الثامنة عشر: تناقضهم في الانتساب، ينتسبون إلى إبراهيم مع إظهارهم ترك اتباعه.

يزعمون انتسابهم لإبراهيم ، وإبراهيم عليه السلام دينه خالصا من الشرك و ودينهم خالصا من التوحيد ، فكيف يكون هذا الانتساب ؟.

تناقض : تفاعل ، ناقض في قوله : هو المتكلم بما يخالف معنى ما يريد ،وخالفه وعارضه .

(واتخذ قوم موسى من حليهم عجلا جسدا له خوار) (وقالت اليهود عزير ابن الله) (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء) وغير ذلك من الآيات التي تبين عقيدتهم ودينهم الفاسد ، فكيف يكون هذا الانتساب المزعوم .

لما نظرنا إلى أعمالهم وأنها مخالفة لما جاءت به الرسل ظهر فساد اعتقادهم وقولهم (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) فالاتباع هو دليل المحبة .

التاسعة عشر: قدحهم في بعض الصالحين، بفعل بعض المنتسبين، كقدح اليهود في عيسى، وقدح اليهود، والنصارى، في محمد صلى الله عليه وسلم.

- القدح : الطعن والعيب والنقص ، فينسبون العيب والنقص إلى المتبوعين ، وهذه هي حجتهم .

---

[٢٠] تفسير ابن كثير (١/٣٤٥) .

- كقدح اليهود في عيسى : (فيزعمون أن عيسى أمرهم بعبادته بدليل : " أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله " . ، والرد عليهم أن القدح والقبح الذي يقع ينسب إلى الفاعلل لا إلى عقيدته ومنهجه لأنها لا تدعو إلى ذلك .

(فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإن الله غني عن العالمين) .

العشرون: اعتقادهم في مخاريق السحرة، وأمثالهم، أنها من كرامات الصالحين، ونسبته إلى الأنبياء، كما نسبوه لسليمان.

حجتهم أن هذه الكرامات لا تخرج ولا تظهر إلا على يد الصالحين ، وهذه كرامة (أي السحر) وهؤلاء من تدعونهم سحرة إنما هم صالحين ، وهذا قياس فاسد باطل .

- والخلاصة في هذا أن الخوارق على حالات :-

١-إجراءها على يد من يدعي النبوة الصحيحة الصادقة (معجزة).

٢-إجراءها على يد رجل صالح لا يدعي النبوة (كرامة).

٣-إجراءها على يد رجل فاجر طالح وإن أظهر الصلاح (سحر وشعوذة).

- وهذه المسألة مبسوطة في كتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان .

قال شيخ الإسلام في الفرقان (١٣٦) :" " كَرَامَاتُ الْأَوْلِيَاءِ " لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ سَبَبُهَا الْإِيمَانَ وَالتَّقْوَى فَمَا كَانَ سَبَبُهُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ فَهُوَ مِنْ خَوَارِقِ أَعْدَاءِ اللَّهِ لَا مِنْ كَرَامَاتِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ فَمَنْ كَانَتْ خَوَارِقُهُ لَا تَحْصُلُ بِالصَّلَاةِ وَالْقِرَاءَةِ وَالذِّكْرِ وَقِيَامِ اللَّيْلِ وَالدُّعَاءِ وَإِنَّمَا تَحْصُلُ عِنْدَ الشِّرْكِ : مِثْلُ دُعَاءِ الْمَيِّتِ وَالْغَائِبِ أَوْ بِالْفِسْقِ وَالْعِصْيَانِ وَأَكْلِ الْمُحَرَّمَاتِ : كَالْحَيَّاتِ وَالزَّنَابِيرِ وَالْخَنَافِسِ وَالدَّمِ وَغَيْرِهِ مِنْ النَّجَاسَاتِ وَمِثْلِ الْغِنَاءِ وَالرَّقْصِ ؛ لَا سِيَّمَا مَعَ النِّسْوَةِ الْأَجَانِبِ والمردان وَحَالَةُ خَوَارِقِهِ تَنْقُصُ عِنْدَ سَمَاعِ الْقُرْآنِ وَتَقْوَى عِنْدَ سَمَاعِ مَزَامِيرِ الشَّيْطَانِ فَيَرْقُصُ لَيْلًا طَوِيلًا فَإِذَا جَاءَتْ الصَّلَاةُ صَلَّى قَاعِدًا أَوْ يَنْقُرُ الصَّلَاةَ نَقْرَ الدِّيكِ وَهُوَ يَبْغُضُ سَمَاعَ الْقُرْآنِ وَيَنْفِرُ عَنْهُ وَيَتَكَلَّفُهُ لَيْسَ لَهُ فِيهِ مَحَبَّةٌ وَلَا ذَوْقٌ وَلَا لَذَّةٌ عِنْدَ وَجْدِهِ وَيُحِبُّ سَمَاعَ الْمُكَاءِ وَالتَّصْدِيَةِ وَيَجِدُ عِنْدَهُ مَوَاجِيدَ . فَهَذِهِ أَحْوَالٌ شَيْطَانِيَّةٌ "١.هـ .

الحادية والعشرون: تعبدهم بالمكاء، والتصدية.

- المكاء : الصفير والتصفيق .

وهذا يعتبر من البدع ،(ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله ...) .

قال الحسن البصري: نزلت هذه الآية في المزامير .

قال تعالى : (وهم سامدون) قال ابن عباس وعكرمة : تقول العرب : اسمد لنا : أي غنِّ لنا .

- والدف مباح للنساء ولا يقاس عليه آلة أو جنس آخر وهم الرجال .
- التصفيق محرم على الجميع إلا على النساء في الصلاة .

الثانية والعشرون: أنهم اتخذوا دينهم لهواً ولعباً.

- أي صيروه لهوا ولعبا ،(وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا ...) .

قال السعيدي -في شرحه على المسائل- ولها أربعة معان :-

١-سخروا من الداعين إلى الحق .

٢–اتخذوا الدين لهوا ولعبا بسبب اتخاذهم الأصنام دينا لهم .

٣–ما يقومون به إلى اتخاذ الدين بما يهوونه من تشهي .

٤–ما يقومون به بجعل الدين وسيلة للدنيا .

وهذا الخلاف يعد اختلاف تنوع لا تضاد .

الثالثة والعشرون: أن الحياة الدنيا غرتهم؛ فظنوا: أن عطاء الله منها ، يدل على رضاه ، كقوله: (نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين) [سبأ: ٣٥].

(إن الله يعطي الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب) : حديث ضعيف .

(نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين) ،(يحسبون أنما نمد به من مال وبنين * نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) : الاستدراج يكون بالخير إذا استعمل في طاعة الله ، وللشر إذا كان في غير ذلك .

الرابعة والعشرون: ترك الدخول في الحق ، إذا سبقهم إليه الضعفاء ، تكبراً ، وأنفة ، فأنزل الله: (ولا تطرد الذين يدعون ربهم) [الأنعام: ٥٢ –٥٥].

- الكبر: العظمة والتجبر وترك الحق معاندة .
- الأنفة : التنزه عن الشيء وتركه .

الخامسة والعشرون: الاستدلال على بطلانه ، بسبق الضعفاء ، كقوله: (لو كان خيراً ما سبقونا إليه) [الأحقاف: ١١].

ومثله مر معنا .

السادسة والعشرون: تحريف كتاب الله ، من بعد ما عقلوه وهم يعلمون.

– حرف يحرف تحريفا : وهو إمالة الشيء كتحريف القلم ،وتحريف الكلام : هو جعله على حرف من الاحتمال ، أي : يمكن حمله على وجهين .

- أنواع التحريف : –١– لفظي ، –٢– معنى .

– اللفظي : تبديل اللفظ بلفظ آخر ، أو تغييره بحذف أو زيادة أو حركة إعرابية .

– المعنى : أن يفسر اللفظ بغير مراد الله تعالى عز وجل . فقد يكون التفسير مفردة بمفردة أو جملة مركبة بجملة مركبة . والثاني هو الأصل ، (بل يداه مبسوطتان) هنا نثبت ما أثبته الله تعالى لنفسه : يدان مبسوطتان ليس كمثله شيء ، فنعتقد أن له يدان حقيقيتان تليقان بجلاله . حرفهما المبتدعة بالقوة أو بالنعمة ، وهذا بعيد جدا لغة وشرعا .

- وكذلك قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) استوى في اللغة إذا تعدى بعلى فإنه يحمل على العلو ، فإذا كان في حق الله تعالى يحمل على العلو المطلق .فله العلو المطلق الكامل على الخلق كلهم .ويشمل علوه الخاص وهو علوه على عرشه عز وجل .
- أما المحرفون قالوا : استوى أي : استولى ،وهذا تحريف بزيادة ، والعرب لا تعرف هذا المعنى ، وهذا التأويل لا يمنع بإنزال الحكم الشرعي عليهم ، لأن الشبهة يصح اعتبارها إذا كان لم يكن دل دليل يمكن حمل اللفظ عليه ، بمعنى أن

هذا اللفظ جاء في لغة العرب ، فيجب أن يكون له وجه في لسان العرب ، فهذه الشبهة تمنع من تكفيرهم ، ولكن الذي ينفي صفة لله تعالى جاءت في القرآن الكريم ، في كلامه سبحانه وتعالى وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فإنه يعتبر من الإلحاد وهو ليس مقصورا على التكذيب والجحود لا، فاتنبه لها يا طالب العلم .

- كتاب الله : هذا لفظ عام ، فيدخل فيها التوراة الإنجيل والزبور والقرآن .أما الكتب السابقة فواضح التحريف فيها لفظا ومعنى ، أما القرآن فمعنى كما بينا من بعض أهل البدع وكذلك كانت بعض المحاولات اللفظية الفاشلة التي باءت بالخسران .
- عقلوه : معنى العقل :-

١-القوة المتهيئة لقبول العلم ، وهذه هي الميزة بين البهائم والبشر .

٢-العلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة .(وهذا هو مراد الله عز وجل في القرآن الكريم) . (أفلا تعقلون) (من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) من بعد ما عقلوه : أي فهموه على الجلية ، ومع هذا فهم (يعلمون).

- التحريف : التحريف الذي جاء في القرآن يحمل على النوعين إلا إذا جاءت قرينة (وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَـــذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ ..) ، روى البخاري قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : قِيلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ فَبَدَّلُوا فَدَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ وَقَالُوا حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ.

- من أنواع التحريف في المعنى :- روى البخاري عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ أُتِيَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِرَجُلٍ وَامْرَأَةٍ مِنَ الْيَهُودِ قَدْ زَنَيَا فَقَالَ لِلْيَهُودِ مَا تَصْنَعُونَ بِهِمَا قَالُوا نُسَخِّمُ وُجُوهَهُمَا وَنُخْزِيهِمَا قَالَ {فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} فَجَاؤُوا فَقَالُوا لِرَجُلٍ مِمَّنْ يَرْضَوْنَ يَا أَعْوَرُ اقْرَأْ فَقَرَأَ حَتَّى انْتَهَى عَلَى مَوْضِعٍ مِنْهَا فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ قَالَ ارْفَعْ يَدَكَ فَرَفَعَ يَدَهُ فَإِذَا فِيهِ آيَةُ الرَّجْمِ تَلُوحُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ عَلَيْهِمَا الرَّجْمَ وَلَكِنَّا نُكَاتِمُهُ بَيْنَنَا فَأَمَرَ بِهِمَا فَرُجِمَا فَرَأَيْتُهُ يُجَانِئُ عَلَيْهَا الْحِجَارَةَ.

السابعة والعشرون: تصنيف الكتب الباطلة ، ونسبتها إلي الله ، كقوله: (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله) [البقرة: ٧٩]

(فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله) : قال ابن كثير في تفسيره (٣١١/١) : "هؤلاء صنف آخر من اليهود، وهم الدعاة إلى الضلال بالزور والكذب على الله، وأكل أموال الناس بالباطل".

الثامنة والعشرون: أنهم لا يعقلون من الحق ، إلا الذي مع طائفتهم ، كقوله: (نؤمن بما أنزل علينا) [البقرة: ٩١]

(وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه) :أي يكفينا بما أنزل الله علينا من التوراة والإنجيل ويكفرون بما بعده .

التحزب على الباطل باطلٌ ، والتحزب على الحق حقٌّ (أولئك حزب الله) .

التاسعة والعشرون: أنهم مع ذلك لا يعلمون بما تقوله الطائفة ، كما نبه الله عليه بقوله: (فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين) [البقرة: ٩١].

- (فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين) : قال أبو جعفر بن جرير (٩٢٣/١): قل يا محمد ليهود بني إسرائيل – [الذين] (١) إذا قلت لهم: آمنوا بما أنزل الله قالوا: { نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا } –: لم تقتلون (٢) –إن كنتم يا معشر اليهود مؤمنين بما أنزل الله عليكم–أنبياءه وقد حرم الله في الكتاب الذي أنزل عليكم قتلهم، بل أمركم فيه باتباعهم وطاعتهم وتصديقهم، وذلك من الله تكذيب لهم في قولهم: { نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا } وتعيير لهم.

فهذا قول باطل لأنهم لا يعلمون الحق .

- (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ....) : الأعمال القلبية لابد منها ظهور أثرها على الجوارح .

(ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم ...) : وذلك لعدم العمل بالشهادتين .

الثلاثون: – وهي من عجائب آيات الله –أنهم لما تركوا وصية الله بالاجتماع ، وارتكبوا ما نهى الله عنه من الافتراق؛ صار: كل حزب بما لديهم فرحون.

- كل من لم يعمل بالحق وقع بالباطل .
- ذكر ابن القيم الجوزية : إن أعمال القلوب وبما يقابلها من المتناقضين (محبة الله ومحبة غيره من المتناقضين) .

الحادية والثلاثون: – وهي من عجائب الله أيضا –معاداتهم الدين ، الذي انتسبوا إليه ، غاية العداوة ، ومحبتهم دين الكفار ، الذين عادوهم ، وعادوا نبيهم ، غاية المحبة ، كما فعلوا مع النبي صلى الله عليه وسلم لما أتاهم بدين موسى ، واتبعوا كتب السحر ، وهي من دين آل فرعون.

الثانية والثلاثون: كفرهم بالحق ، إذا كان مع من لا يهوونه ، كما قال تعالى: (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء) [البقرة: ١١٣].

الثلاثة والثلاثون: إنكارهم ما أقروا ، أنه من دينهم ، كما فعلوا في حج البيت ، فقال تعالى: (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه) [البقرة: ١٣٠].

الرابعة والثلاثون: أن كل فرقة تدعي أنها الناجية ، فأكذبهم الله بقوله: (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) [البقرة: ١١١] ثم بين الصواب بقوله: (بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن) [البقرة: ١١٢].

- وهذا حال كل فرقة ، ولكن (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) .
- كل من يريد جمع الأمة على كلمة واحدة يريد تضعيف حديث الافتراق .

الخامسة والثلاثون: التعبد بكشف العورات ، كقوله (وإذا فعلوا فاحشة) [الأعراف: ٢٨].

- العورة : السَوْءَة، فهم يتقربون إلى الله تعالى بهذا ، كما هو الحال في الطواف .

وتقول المرأة : اليوم يبدو بعضه أو كله * فما بدى منه فلا أحله

- لا يجوز كشف العورات إلا للضرورة .

السادسة والثلاثون: التعبد بتحريم الحلال ، كما تعبدوا بالشرك.

- التعبد : القربة والطاعة والزلفى إلى الله تعالى عز وجل .
- الحلال : ضد الحرام ، ويدخل فيه الواجب والمباح والمستحب .

(مَا جَعَلَ اللّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلاَ سَآئِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ وَلَـكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ) [المائدة : ١٠٣] ، (قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَاماً وَحَلاَلاً قُلْ آللّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللّهِ تَفْتَرُونَ)[يونس : ٥٩].

السابعة والثلاثون: التعبد باتخاذ الأحبار ، والرهبان ،أربابا من دون الله.

- الأحبار : العلماء .
- الرهبان : العباد .

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ –صلى الله عليه وسلم– وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ قَالَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ. قَالَ :« أَجَلْ وَلَكِنْ يُحِلُّونَ لَهُمْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَسْتَحِلُّونَهُ وَيُحَرِّمُونَ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَيُحَرِّمُونَهُ فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ لَهُمْ ».رواه البيهقي .

- لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق : نؤجله ونرجعه إلى شرح كتاب التوحيد .

الثامنة والثلاثون: الإلحاد في الصفات ، كقوله تعالى: (ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا ما تعملون) [فصلت: ٢٢].

التاسعة والثلاثون: الإلحاد في الأسماء ، كقوله: (وهم يكفرون بالرحمن) [الرعد: ٣٠].

- الإلحاد : ال : للعهد الذهني أو نائبة عن المضاف .
- الإلحاد : ألحد يلحد إلحادا ، الْعَلَّامَةُ ابْنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: ((وَالْإِلْحَادُ فِي أَسْمَائِهِ هُوَ الْعُدُولُ بِهَا وَبِحَقَائِقِهَا وَمَعَانِيهَا عَنِ الْحَقِّ الثَّابِتِ لَهَا؛ مأخوذٌ مِنَ الْمَيْلِ؛ كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ مَادَّةُ (ل ح د) ، فَمِنْهُ اللَّحْدُ، وَهُوَ الشَّقُّ فِي جَانِبِ الْقَبْرِ، الَّذِي قَدْ مَالَ عَنِ الْوَسَطِ، وَمِنْهُ الْمُلْحِدِ فِي الدِّينِ: الْمَائِلُ عَنِ الْحَقِّ، الْمُدْخِلِ فِيهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ)) . اهـ

قال في النونية :-

أسماؤه أوصاف مدح كلها *** مشتقة قد حملت لمعان
إياك والالحاد فيها أنه *** كفر معاذ الله من كفران
وحقيقة الالحاد فيها الميـ ***ـل بالاشراك والتعطيل والنكران
فالملحدون إذا ثلاث طوائف*** فعليهم غضب من الرحمن

(ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعلمون) : ظاهر الآية أنهم أنكروا صفة العلم ، والصحيح أنهم لم ينكروا مطلق الصفة ، وإنما أطلقوا الصفة المطلقة أي صفة العلم المطلقة ،وهي الإحاطة والعموم ، قال الشوكاني في الفتح (٦ / ٣٥٠) : قال قتادة : الظنّ هنا بمعنى : العلم وقيل : أريد بالظنّ معنى مجازي يعمّ معناه الحقيقي ، وما هو فوقه من العلم .

- من قال إن الله لا يعلم كثيرا مما يعملون يزل الحكم عليه .

قال الله تعالى : { وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ } قال ابن كثير (٧ /١٧٢) أي: تقول لهم الأعضاء والجلود حين يلومونها على الشهادة عليهم: ما كنتم تتكتمون (٧) منا الذي كنتم تفعلونه بل كنتم تجاهرون الله بالكفر والمعاصي، ولا تبالون منه في زعمكم؛ لأنكم كنتم لا تعتقدون أنه يعلم جميع أفعالكم؛ ولهذا قال: { وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ } أي: هذا الظن الفاسد –وهو اعتقادكم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون– هو الذي أتلفكم وأرداكم عند ربكم، { فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ } أي: في مواقف القيامة خسرتم أنفسكم وأهليكم .

في مسند الإمام أحمد : عن عبد الله بن مسعود قال : كنت مستترا بأستار الكعبة قال فجاء ثلاثة نفر كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم قرشي وختناه ثقفيان أو ثقفي وختناه قرشيان فتكلموا بكلام لم أفهمه فقال بعضهم أترون ان الله عز و جل يسمع كلامنا هذا فقال الآخران انا إذا رفعنا أصواتنا سمعه وإذا لم نرفع أصواتنا لم يسمعه قال وقال الآخران سمع منه شيئا سمعه كله قال فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه و سلم قال فأنزل الله عز و جل { وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم } إلى قوله { وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين .

قال البغوي في تفسيره (٤/٣١٨) : والمعروف أن الآية مكية، وسبب نزولها: أن أبا جهل سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الحِجْر يدعُو يا الله يا رَحمن، فرجع إلى المشركين فقال: إن محمداً يدعو إلهين؛ يدعو الله، ويدعو إلهاً آخر يسمى الرحمن، ولا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة فنزلت هذه الآية، ونزل قوله تعالى: {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى (٤) }(الإسراء –١١٠).

- أنواع الإلحاد :–

١–أن يسمى الأصنام بها كتسمية اللات من الإله (اشتقاق أسماء الله لغير الله).

٢– تسميته سبحانه وتعالى بما لا يليق بجلاله (العلة الفاعلة).

٣– وصفه بصفة نقص وخاصة إذا كانت مناقضة لما وصف بها نفسه (يد الله مغلولة).

٤– تعطيل أسماءه سبحانه عن معانيها وعن حقيقتها (مثل المفوضة والجهمية) .

- الصفات قدر زائد عن الذات .

الأربعون: التعطيل ، كقول آل فرعون.

– التعطيل : الإخلاء والترك .

- أنواع التعطيل :–

١–تعطيل المصنوع عن صانعه (لا خالق للكون).

٢–تعطيل الصانع عن كماله المقدس (كتعطيل الجهمية)

٣–تعطيل حق معاملته .

– كقول فرعون : وذلك في قوله : (ما علمت لكم من إله غيري).

الحادية والأربعون: نسبة النقائص إليه.

- وفي بعض نسخ مسائل الجاهلية (كالولد والتعب والحاجة) .

كنسبة الولد إليه سبحانه : كقول اليهود : (عزير ابن الله) ، وقول النصارى (المسيح ابن الله) .وكذلك العرب ينسبون البنات إلى الله جل علا ، (وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا) (ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون) (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا) (أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلآئِكَةِ إِنَاثا) .

ومن النقائص التي يوصفون الله تعالى بها مع عدم وصف رهبانهم بها الحاجة والافتقار ، (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء) ، قال ابن كثير في تفسيره (١٧٦/٢) : قال سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: لما نزل قوله: { مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً } [البقرة:٢٤٥] قالت اليهود: يا محمد، افتَقَرَ ربّك. وعن ابن عباس، رضي الله عنه، قال: دخل أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، بيت المدراس، فوجد من يهود أناسا كثيرا قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له: فِنْحَاص وكان من علمائهم وأحبارهم، ومعه حَبْرٌ يقال له: أشيع. فقال أبو بكر: ويحك يا فِنْحَاص اتق الله وأسلم، فوالله إنك لتعلم أن محمدًا رسول الله، قد جاءكم بالحق من عنده، تجدونه مكتوبًا عندكم في التوراة والإنجيل، فقال فنحاص: والله –يا أبا بكر–ما بنا إلى الله من حاجة من فقر، وإنه إلينا لفقير. ما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وإنا عنه لأغنياء، ولو كان عنا غنيًا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم، ينهاكم عن الربا ويُعْطيناه ولو كان غنيا ما أعطانا الربا فغضب أبو بكر، رضي الله عنه، فضرب وجه فِنْحَاص ضربًا شديدًا، وقال: والذي نفسي بيده، لولا الذي بيننا وبينك من العهد لضربت عنقك يا عدو الله، فَاكْذبونا ما استطعتم إن كنتم صادقين، فذهب فنحاص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أبصر ما صنع بي صاحبك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر: "ما حَمَلَكَ على ما صَنَعْتَ؟" فقال: يا رسول الله، إن عَدُوَّ الله قد قال قولا عظيما، زعَم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء، فلما قال ذلك غَضِبْتُ لله مما قال، فضربت وجهه فجَحَد ذلك فنحاص وقال: ما قلتُ ذلك فأنزل الله فيما قال فنحاص ردا عليه وتصديقًا لأبي بكر: { لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ } الآية. رواه ابن أبي حاتم.

– العتب : (ولقد خلقنا السماوات والأرض في ستة أيام وما مسنا من لغوب) ، قال ابن كثير في تفسيره (٤٠٨/٧) : وقال قتادة: قالت اليهود –عليهم لعائن الله–: خلق الله السموات والأرض في ستة أيام، ثم استراح في اليوم السابع، وهو يوم السبت، وهم يسمونه يوم الراحة، فأنزل الله تكذيبهم فيما قالوه وتأولوه: { وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ } أي: من إعياء ولا نصب ولا تعب.

- فالله سبحانه وتعالى نفى عن نفسه صفات النقص ووصف نفسه بصفات الكمال (ولله المثل الأعلى) (ليس كمثله شيء) ، وسورة الإخلاص كاملة .

الثانية والأربعون: الشرك في الملك: كقول المجوس.

– الإسلام جوّز وشرّع وقرّر الملكية الفردية (فلكم رؤوس أموالكم) (للرجال نصيب مما ترك الوالدان ..... وللنساء نصيب ....) (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) .

الثالثة والأربعون: جحود القدر.

الرابعة والأربعون: الاحتجاج على الله.

الخامسة والأربعون: معارضة شرع الله بقدره.

– القدر : قدّر الشيء قدره تقديرا وقدرا ، وهو تعلق علم الله تعالى وإرادته أزلا للكائنات قبل وجودها ، فلا حادث للكائنات إلا ما قدره الله أزلا ، وهو من أركان الإسلام الست . قال ابن القيم طريق الهجرتين وباب السعادتين (١٥١/١) : "وتبين أن من لم يؤمن بالقدر فقد انسلخ من التوحيد ولبس جلباب الشرك بل لم يؤمن بالله ولم يعرفه وهذا في كل كتاب أنزله الله على رسله "..

- مراتب القدر :

١– علمه السابق .

٢– كتابته في اللوح المحفوظ (مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ [الحديد : ٢٢]) .

٣–المشيئة ،(ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) .

٤–خلقه وإيجاده . (ألا له الخلق والأمر) (وخلق كل شيء وقدره تقديرا) .

- وهذه المراتب مجموعة في قول الشاعر : علم كتابة مولانا مشيئته * وخلقه وهو إيجاد وتكوين .
- أهل الجاهلية على مذاهب في القدر :

١– جحد القدر . ٢– الاحتجاج به على الله – والعياذ بالله – . ٣– يعارضون شرع الله بقدر الله .

– في المسألة الثالثة والأربعون : جحد القدر : يصدق على كل من أنكر واحدة من مراتب القدر ، فضلا عن جميعها ، (إنا كل شيء خلقناه بقدر) قال ابن جرير في تفسيره (٢٢ /١٦٠) : " إِنَّا خَلَقْنَا كُلَّ شَيْءٍ بِمِقْدَارٍ قَدَّرْنَاهُ وَقَضَيْنَاهُ ، وَفِي هَذَا بَيَانٌ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ، تَوَعَّدَ هَؤُلاَءِ الْمُجْرِمِينَ عَلَى تَكْذِيبِهِمْ بِالْقَدَرِ مَعَ كُفْرِهِمْ بِهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : إِنِّي أَجِدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ قَوْمًا يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وجُوهِهِمْ ، يُقَالُ لَهُمْ : {ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ} لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُكَذِّبُونَ بِالْقَدَرِ ، وَإِنِّي لاَ أَرَاهُمْ ، فَلاَ أَدْرِي أَشَيْءٌ كَانَ قَبْلَنَا ، أَمْ شَيْءٌ فِيمَا بَقِيَ ؟".

قال القرطبي في تفسيره (١٧ / ١٤٨) :" قال أبو ذر رضي الله عنه: قدم وفد نجران على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالوا: الأعمال إلينا والآجال بيد غيرنا، فنزلت هذه الآيات إلى قوله: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) فقالوا: يا محمد يكتب علينا الذنب ويعذبنا؟ فقال: (أنتم خصماء الله يوم القيامة). ".

قال ابن كثير في تفسيره (٤٨٢/٧) : "{ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى } [الأعلى :١–٣] أي: قدر قدرا، وهدى الخلائق إليه؛ ولهذا يستدل بهذه الآية الكريمة أئمةُ السنة على إثبات قَدَر الله السابق لخلقه، وهو علمه الأشياء قبل كونها وكتابته لها قبل برئها، وردّوا بهذه الآية وبما (٢) شاكلها من الآيات، وما ورد في معناها من الأحاديث الثابتات على الفرْقة القَدرية الذين نبغوا (٣) في أواخر عصر الصحابة. " .

ومن ذلك قول الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ ...).

- من نفي القدر : نسبة الأمور إلى الدهر مع نفيها أنها من خلق الله تعالى عز وجل .

المسألة الرابعة والأربعون : الاحتجاج على الله بالقدر .

قال تعالى :" سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم " ، قال ابن كثير في تفسيره (٣٥٧/٣) :" فإن الله مطلع على ما هم فيه من الشرك والتحريم لما حرموه، وهو قادر على تغييره بأن يلهمنا الإيمان، أو يحول بيننا وبين الكفر، فلم يغيره، فدل على أنه بمشيئته وإرادته ورضاه منا ذلك؛ ولهذا قال: { لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ } كما في قوله : { وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ [مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ] } [الزخرف : ٢٠] ، وكذلك التي في "النحل" مثل هذه سواء قال الله تعالى: { كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ } أي: بهذه الشبهة ضل من ضل قبل هؤلاء.

وهي حجة داحضة باطلة؛ لأنها لو كانت صحيحة لما أذاقهم الله بأسه، ودمر عليهم، وأدال عليهم رسله الكرام، وأذاق المشركين من أليم الانتقام." .

قال ابن كثير (٨ /٤١٨) : " عن علي بن أبي طالب قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بَقِيع الغَرْقَد في جنازة، فقال: "ما منكم من أحد إلا وقد كُتب مقعده من الجنة ومقعده من النار". فقالوا: يا رسول الله، أفلا نتكل؟ فقال: "اعملوا، فكل ميسر لما خلق له". قال: ثم قرأ: { فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى } إلى قوله: { لِلْعُسْرَى }" .

الخامسة والأربعون : معارضة شرع الله بقدره .

- اعترض : صار عارضا ، كالخشبة المعترضة للنهر ، اعترض الشيء دون الشيء : حال دونه ، عاترض فلان فلانا : جانبه وذهب عنه .

فيقولون : كيف يقدر الله تعالى الكفر والإيمان ثم يشرع الله الشرائع من أوامر ونواهي ، مع أنه لا فائدة فيها إذا كانت الأمور مقدرة ،ما الفائدة من الأمر بالإيمان الوهي عن الشرك وقد وقع كل منهما على وجه الأرض ، كيف يقدر ويقع كيف ينهى ثم يقع وما ذاك إلا إذا كنت مجبوراً . (هذا مذهب باطل)

- الرد عليهم أن نقول : المخلوق له مشيئة وإرادة واختيار ، وهذه الأمور تابعة لمشيئة الله من جهة الوجود ، ولكن من جهة التحديد فهي من جهة توفيق الله للعبد بسبب أعماله الصالحة التي قدمها أو من جهة خسارة العبد التي جناها على نفسه ، ولهذا فإنهم يعاقبون على فعل المعاصي ، وكذلك فإن هذه المعصية تنسب إليهم لا إلى الشرع ، وكذلك يثابون على فعل الحسنات والطاعات .

- والشبهة بين الشرع والقدر قديمة قبل النبي صلى الله عليه وسلم ثم سلك بعض المنتسبين مسلك أؤلئك ، وهي أنهم لم يفرقوا بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية ، فاعتقدوا أن كل ما شاءه أراده فهو محبوب مرضي عند الله ، لا ولكن هذا بعيد بل وضلال ، وهذا اعتقاد باطل يكفّر من اعتقده ، وكذلك لا يمكن لأن يدل على أن الله متصف بالظلم والجور والعياذ بالله عن ذلك كله .

فالإرادة الكونية هي المشيئة لما خلقه وجميع مخلوقاته داخلة في مشيئته وإرادته الكونية .

- قال الشيخ الفوزان في شرحه على المسائل :- أقسام الناس مع القدر :-

١-يثبت القدر وينفي الشرع (الجبرية).

٢-يثبت الشرع وينفي القدر (القدرية).

٣-يثبت الشرع ويثبت القدر ويزعم أن بينهما تناقض (المشركون).

٤-يثبت القدر والشرع وليس بينهما أي تعارض أو تناقض (أهل السنة).

السادسة والأربعون: مسبة الدهر ، كقولهم: (وما يهلكنا إلا الدهر) [الجاثية: ٢٤].

- سبه سبا : شتمه : السُّبة العار .
- الدهر : الزمن الطويل ، والأمد الممدود.
- يقال الدَّهري ، وأما الدُّهري : فهذا خلاف القياس .

المراد بهذه المسألة : أنهم يسبون الدهر و فإذا وقع بهم سوء قالوا هذا زمن سوء ، يا خيبة الدهر ،وكذلك فإنهم ينسبون الحوادث للدهر ، وهو مخلوق لا يجوز نسب الحادث له .

(وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ) قال ابن كثير في تفسيره : يخبر تعالى عن قول الدهرية من الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد: { وَقَالُوا مَا هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا } ، أي: ما ثم إلا هذه الدار، يموت قوم ويعيش آخرون وما ثم معاد ولا قيامة وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد، ويقوله الفلاسفة الإلهيون منهم، وهم

ينكرون البداءة والرجعة، ويقوله الفلاسفة الدهرية الدورية المنكرون للصانع المعتقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه. وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهى، فكابروا المعقول وكذبوا المنقول، ولهذا قالوا { وَمَا يُهْلِكُنَا إِلا الدَّهْرُ } قال الله تعالى: { وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلا يَظُنُّونَ } أي: يتوهمون ويتخيلون.

قال القرطبي (١٧١/١٦) : " قوله تعالى:" وَقالُوا ما هِيَ إِلَّا حَياتُنَا الدُّنْيا نَمُوتُ وَنَحْيا" هذا إنكار منهم للآخرة وتكذيب للبعث وإبطال للجزاء. ومعنى" نَمُوتُ وَنَحْيا" أي نموت نحن ونحيا أولادنا، قاله الكلبي. وقرى" وَنَحْيا" بضم النون. وقيل: يموت بعضنا ويحيا بعضنا. وقيل: فيه تقديم وتأخير، أي نحيا ونموت، وهي قراءة ابن مسعود." وما يهلكنا إلا الدهر" قال مجاهد: يعني السنين والأيام. وقال قتادة: إلا العمر، والمعنى واحد " .ا .هـــ .

قال الشافعي : "لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر ، كانت العرب في جاهليتها إذا أصابتهم شدة أو بلاء قالوا يا خيبة الدهر .

- غلط ابن حزم ومن نحى نحوه من الظاهرية لعدهم الدهر من أسماؤه سبحانه وتعالى .
- قال الشيخ بكر أبو زيد في المناهي الفظية (٢٧/٣) :" وفي حديث آخر : ((لا يقولن أحدكم : يا خيبة الدهر)) .
- في هذا ثلاث مفاسد عظيمة :

إحداها : سبه من ليس بأهل أن يُسب ، فإن الدهر خَلْقٌ مسخر من خلق الله ، منقاد لأمره ، مذلل لتسخيره ، فسابُّه أولى بالذم والسب منه .

الثانية : أن سبه متضمن للشرك ، فإنه إنما سبه لظنه أنه يضر وينفع ، وأنه مع ذلك ظالم قد ضر من لا يستحق الضرر ، وأعطى من لا يستحق العطاء ، ورفع من لا يستحق الرفعة ، وحرم من لا يستحق الحرمان ، وهو عند شاتميه من أظلم الظلمة ، وأشعار هؤلاء الظلمة الخونة في سبه كثيرة جداً . وكثير من الجهَّال يُصرح بلعنه وتقبيحه .

الثالثة : أن السب منهم إنما يقع على من فعل هذه الأفعال التي لو اتبع الحق فيها أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ، وإذا وقعت أهواؤهم ، حمدوا الدهر ، وأثنوا عليه . وفي حقيقة الأمر ، فرب الدهر تعالى هو المعطي المانع ، الخافض الرافع ، المعز المذل ، والدهر ليس له من الأمر شيء ، فمسبتهم للدهر مسبة لله عز وجل ، ولهذا كانت مؤذية للرب تعالى ، كما في ((الصحيحين)) من حديث أبي هريرة ، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : ((قال الله تعالى : يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر)) . فسابُّ الدهر دائر بين أمرين لا بد له من أحدهما : إما سبه لله ، أو الشرك به ، فإنه إذا اعتقد أن الدهر فاعل مع الله فهو مشرك ، وإن اعتقد أن الله وحده هو الذي فعل ذلك وهو يسب من فعله ، فقد سب الله . " .

فتوة الشيخ محمد إبراهيم آل الشيخ من الفتاوى (١٥١/١) في قول القائل : لم تسمح لي الظروف :–

ما جرى على ألسنة بعض الناس من إضافة السماح إلى الدهر ونحو ذلك. فهو كاضافة المجيء والذهاب إلى الدهر ونحو ذلك لا فرق بينهما، وهو شيء شائع وموجود في الكتاب والسنة كقوله سبحانه: (هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ)(١) وكقوله صلى الله عليه وسلم: ((لا يَاتِيْ عليْكمْ زمانٌ إلاَ وَالَّذِي بَعْده شرٌ مِنْه)) (٢).

ومعلوم أَن المتكلم بهذه الكلمة لا يقصد أَن الدهر يتصرف بنفسه بل يعتقد أَن الدهر خلق مسخر لا يجيء ولا يذهب لا بمشيئة الله سبحانه – وإنما هذا من باب التجوز والتوسع في الكلام كقوله سبحانه (جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ)(٣). على أَن الأَدب تركها وأَمثالها، أَما لو قصد أَن الدهر يفعل حقيقة فهذا لا شك أنه اشراك مع الله سبحانه.

وأَما وصف الدهر بالشدة والرخاء والخير والشر فلا بأس بذلك، كقوله سبحانه (سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا)(٤) وقوله: (سَبْعٌ شِدَادٌ)(٥) وقوله صلى الله عليه وسلم: ((لاَ يأْتِي زمانٌ إلاَّ الَّذي بعْده شر مِنْه)) والأَدلة على ذلك كثيرة جدًا.

وأما سب الدهر فهو الذي وردت الأَدلة بالنهي عنه والتحذير منه وتحريمه كما في الصحيح عن أَبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((قالَ الله يؤذِيني ابْن آدَمَ يسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنا الدَّهْرُ أُقلِّبُ اللَّيْل وَالنَّهارَ)). وفي رواية ((لا تسُبُّوا الدَّهْرَ فإِنَّ الله هُوَ الدَّهْر)).ا . هـــ .

السابعة والأربعون: إضافة نعم الله إلي غيره ، كقوله (يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها) [النحل: ٨٣].

- إضاف وأضاف : نسب وأسند .
- من عبد الله وعبد غيره لم يعبد الله ، لأنه مشرك .

(وما بكم من نعمة فمن الله) .

الثامنة والأربعون: الكفر بآيات الله.

التاسعة والأربعون: جحد بعضها.

- آيات الله : إما شرعية وإما المعجزات (آيات الأنبياء) .

الشرعية كفروا بها " إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها ....."" ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به " " إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد " . قال ابن جرير في تفسيره (١٠/٦٠٠) : " {وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ}.

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِأَدِلَّتِنَا وَأَعْلاَمِنَا ، فَجَحَدُوهَا وَلَمْ يَتَذَكَّرُوا بِهَا ، سَنُمْهِلُهُ بِغِرَّتِهِ وَنُزَيِّنُ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ ، حَتَّى يَحْسِبَ أَنَّهُ هُوَ فِيمَا عَلَيْهِ مِنْ تَكْذِيبِهِ بِآيَاتِ اللَّهِ إِلَى نَفْسِهِ مُحْسِنٌ ، وَحَتَّى يَبْلُغَ الْغَايَةَ الَّتِي كُتِبَ لَهُ مِنَ الْمَهَلِ ، ثُمَّ يَأْخُذَهُ بِأَعْمَالِهِ السَّيِّئَةِ ، فَيُجَازِيَهُ بِهَا مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا قَدْ أَعَدَّ لَهُ . وَذَلِكَ اسْتِدْرَاجُ اللَّهِ إِيَّاهُ . وَأَصْلُ الاِسْتِدْرَاجِ اغْتِرَارُ الْمُسْتَدْرَجِ بِلُطْفٍ مِنْ حَيْثُ يَرَى الْمُسْتَدْرَجُ أَنَّ الْمُسْتَدْرِجَ إِلَيْهِ مُحْسِنٌ حَتَّى يُورِّطَهُ مَكْرُوهًا" .

الخمسون: قولهم ما أنزل الله على بشر من شيء.

- ما : عامة ، بشير : عامة ، من : اسم موصول يعم ، شيء : شيء ومن ألفاظ العموم.

الحادية والخمسون: قولهم في القرآن: (إن هذا إلا قول البشر) [المدثر: ٢٥].

قال ابن كثير في تفسيره (٨/٢٦٧) : " عن ابن عباس قال: دخل الوليد بن المغيرة على أبي بكر بن أبي قحافة فسأله (١) عن القرآن، فلما أخبره خرج على قريش فقال: يا عجبا لما يقول ابن أبي كبشة. فوالله ما هو بشعر ولا بسحر ولا بهذْي من الجنون، وإن قوله لمن كلام الله. فلما سمع بذلك النفرُ من قريش ائتمروا فقالوا: والله لئن صبا الوليد لتصْبُوَنَّ قريش. فلما سمع بذلك أبو جهل بن هشام قال: أنا والله أكفيكم شأنه. فانطلق حتى دخل عليه بيته فقال للوليد: ألم تر قومك قد جمعوا لك الصدقة؟ فقال: ألستُ أكثرهم مالا وولدا. فقال له أبو جهل: يتحدثون أنك إنما تدخل على ابن أبي قحافة لتصيب من طعامه. فقال الوليد: أقد (٢) تحدث به عشيرتي؟! فلا والله لا أقرب ابن أبي قحافة، ولا عمر، ولا ابن أبي كبشة، وما قوله إلا سحر يؤثر. فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم: { ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا } إلى قوله: { لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ } ".

يقول مشركوا العرب : (وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّى إِذَا جَآؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ [الأنعام : ٢٥])(وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاء لَقُلْنَا مِثْلَ هَـــذَا إِنْ هَـــذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ [الأنفال : ٣١]).

الثانية والخمسون: القدح في حكمة الله تعالى.

- قدح : قدح في عرض أخيه : عابه ونقصه ،
- الحكمة : وضع الشيء بموضعه اللائق به .وفي المفردات : هي إصابة الحق بالعلم والعقل ا.هـــ . وهذا وصف للمخلوق ، وأما الحكمة للخالق " وهو الحكيم الخبير " معرفته بالأشياء وإيجادها على غاية الإحكام .
- حكمة الإنسان : معرفة الموجودات وفعل الخيرات (ولقد آتينا لقمان الحكمة) .
  - نفي الحكمة على مراتب :-

١-نفيها مطلقا .مثل قولهم " يخلق لا لحكم ، يأمر وينهى من غير حكمة ".

٢-إثباتها مع التنقص بها ." كقولهم :" يساوي بين المختلفات ويفرق بين المتناقضات ".

" وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ [صـــ : ٢٧]"، قال ابن كثير في تفسيره (٦٣/٧):"يخبر تعالى أنه ما خلق الخلق عبثا وإنما خلقهم ليعبدوه ويوحدوه ثم يجمعهم ليوم الجمع فيثيب المطيع ويعذب الكافر ولهذا قال تعالى: { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا } أي: الذين لا يرون بعثا ولا معادا وإنما يعتقدون هذه الدار فقط، { فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ } أي: ويل لهم يوم معادهم ونشورهم من النار المعدة لهم.".

قال تعالى : (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ) [المؤمنون : ١١٥] وقال : (وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ [الزخرف : ٣١])(أيحسب الإنسان أن يترك سدًا).

- لا يوجد شيء في الوجوه شر من كل الوجود .

الثالثة والخمسون: أعمال الحيل الظاهرة ، والباطنة ، في دفع ما جاءت به الرسل ، كقوله: (ومكروا ومكر الله) [آل عمران: ٥٤] وقوله تعالى: (وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار) [آل عمران: ٧٢].

- الحيل : جمع حيلة وحويلة ، وهي ما يتوصل بها إلى حالة ما في خفية . وأكثر استعمالها يكون لما خبث وقد تكون لحمة (وهو شديد المحال) .
- الظاهرة : من الظهور ، البيان والوضوح والسطوح والإبداء والإعلان .
- من الحيل الظاهرة " الإخراج من الديار ، الإيذاء من الأقوال ، إلصاق التهم والأكذيب ، الافتراء ".
- من الحيل الباطنة : الكيد ، المكر ، التدبير ، المخادعة والإخفاء .
- (ومكروا ومكر الله) : قال ابن كثير في تفسيره (٤٦/٢) : " قال تعالى مخبرا عن [ملأ] بني إسرائيل فيما هَمُّوا به من الفتك بعيسى، عليه السلام، وإرادته بالسوء والصَّلب، حين تمالؤوا عليه وَوَشَوا به إلى ملك ذلك الزمان، وكان كافرًا، فأنهَوا إليه أن هاهنا رجلا يضل الناس ويصدهم عن طاعة الملك، وَيُفَنِّد الرعايا، ويفرق بين الأب وابنه إلى غير ذلك مما تقلدوه في رقابهم ورموه به من الكذب، وأنه ولد زانية حتى استثاروا غضب الملك، فبعث في طلبه من يأخذه ويصلبه ويُنَكّل به، فلما أحاطوا بمنزله وظنوا أنهم قد ظَفروا به، نجاه الله من بينهم، ورفعه من رَوْزَنَة ذلك البيت إلى السماء، وألقى الله شبهه على رجل [ممن] كان عنده في المنزل، فلما دخل أولئك اعتقدوه في ظلمة الليل عيسى، عليه السلام، فأخذوه وأهانوه وصلبوه، ووضعوا على رأسه الشوك. وكان هذا من مكر الله بهم، فإنه نجى نبيه ورفعه من بين أظهرهم، وتركهم في ضلالهم يعمهون، يعتقدون أنهم قد ظفروا بطَلبتِهم، وأسكن الله في قلوبهم قسوة وعنادا للحق ملازما لهم، وأورثهم ذلة لا تفارقهم إلى يوم التناد؛ ولهذا قال تعالى: { وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ } ".

الرابعة والخمسون: الإقرار بالحق ، ليتوصلوا به إلي دفعه ، كما قال في الآية.

- أقر : اعترف به وأثبته ، شر طائفة ابتليت بها الأمة الإسلامية هي طائفة المنافقين ،وهذه المسألة قريبة للتي قبلها .

الخامسة والخمسون: التعصب للمذهب ، كقوله فيها (ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم) [آل عمران: ٧٣].

- عصب : العصابة والعصبة ، وهو التحمس للرأي ، (لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم) .

قال الشوكاني في الفتح (٤٧٩/١) :" هذا من كلام اليهود بعضهم لبعض ، أي : قال ذلك الرؤساء للسلفة لا تصدّقوا تصديقاً صحيحاً إلا لمن تبع دينكم من أهل الملة التي أنتم عليها ، وأما غيرهم ممن قد أسلم ، فأظهروا لهم ذلك خداعاً { وَجْهَ النهار واكفروا ءاخِرَهُ } ليفتتنوا ، ويكون قوله : { أَن يؤتى أَحَدٌ مّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ } على هذا متعلقاً بمحذوف ، أي : فعلتم ذلك؛ لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم : يعني أن ما بكم من الحسد ، والبغي أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من فضل العلم ، والكتاب دعاكم إلى أن قلتم ما قلتم . وقوله : { أَوْ يُحَاجُّوكُمْ } معطوف على { أن يؤتى } ، أي : لا تؤمنوا إيماناً صحيحاً ، وتقرّوا بما في صدوركم إقراراً صادقاً لغير من تبع دينكم ، فعلتم ذلك ، ودبرتموه أن المسلمين يحاجوكم يوم القيامة عند الله بالحق ".

السادسة والخمسون: تسمية اتباع الإسلام شركاً ، كما ذكره في قوله تعالى: (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباد لي من دون الله) [آل عمران: ٧٩ – ٨٠].

- وهذا من قلب الحقائق وانتكاس الفطر (وهابية– تيمية– رجعية – متنطعون – إرهابيون) .

قال ابن كثير (٦٦/٢) :"عن ابن عباس قال: قال أبو رافع القُرَظِي، حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران، عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى الإسلام: أتريد يا محمد أن نعبدكَ كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم؟ فقال رجل من أهل نجران نصراني يقال له الرئيس: أوَ ذاك تريد منا يا محمد، وإليه تدعوننا؟ أو كما قال. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَعَاذَ اللهِ أنْ نَعْبُدَ غَيْرَ اللهِ، أو أنْ نَأْمُرَ بِعِبَادَةِ غَيْرِه، مَا بِذَلِكَ بَعَثَنِي، ولا بِذَلِكَ أَمَرَنِي". أو كما قال صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهما: { مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ } [الآية] (١) إلى قوله: { بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } .".

السابعة والخمسون: تحريف الكلم عن مواضعه.

وهذا مر معنا سابقا أو قريبا منه .

الثامنة والخمسون: لي الألسنة بالكتاب.

- لَيٌّ : لوى رأسه أي أماله ، (ليّا بألسنتهم وطعنا في الدين) (وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب ...) .
  - ويكون الّيّ بالفظ والمعنى .

التاسعة والخمسون: تلقيب أهل الهدى ، بالصباة ، والحشوية.

- الحَشَوية أو الحَشْوية :من الحشَىْ والحَشْيْ .
- الصابىء : الكفار ، وينادون بذلك على المسلمين للتنفير منهم .

وقالوا كذلك : (وقالوا مجنون وازدجر)(إنا لنراك في ضلال مبين)(إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين)(شاعر نتربص به ريب المنون).

- عقد ابن القيم رحمه الله في نونيته فصلا كاملا عن تلقيب أهل السنة بالحشوية : قال فيه :

ويظن جاهلهم بأنهم حشوا*** رب العباد بداخل الأكوان
إذ قولهم فوق العباد وفي السما***ء الرب ذو الملكوت والسلطان

الستون: افتراء الكذب على الله.

- الفري :قطع الجلد للخرز والإصلاح ، والإفراء : الفساد : وكذلك في الكفر والإشراك ، (انظر كيف يفترون على الله الكذب) (قال النبي في الحديث المتواتر (من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) .

الحادية والستون: التكذيب بالحق.

- التكذيب :نسبة الكذب للغير ، ولا يلزم أن يكون كذابا ، (فكذبوا عبدنا) .
  - يلزم من كذب الحق أن يلتبس بالباطل .
  - يطلق الحق على :-

١-الموجد : وهو الله (ذلكم الله ربكم الحق) سورة يونس .
٢-الموجَد : فعل الله كله حق ، (هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ) .(إن وعد الله حق).

الثانية والستون: كونهم إذا غلبوا بالحجة فزعوا إلي الشكوى للملوك ، كما قال: (أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض) [الأعراف: ١٢٧].

- الشكوى : نقل الكلام على سبيل الظلم (وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَونَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءهُمْ وَنَسْتَحْيِـــي نِسَاءهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ [الأعراف : ١٢٧]).

الثالثة والستون: رميهم إياهم بالفساد في الأرض ،كما في الآية.

- رمى : ألقاه وقذفه من أعلى .

الرابعة والستون: رميهم إياهم بانتقاص دين الملك ، كما قال تعالى: (ويذرك وآلهتك) [الأعراف: ١٢٧]

وكما قال تعالى: (إني أخاف أن يبدل دينكم) [غافر: ٢٦].

الخامسة والستون: رميهم إياهم بانتقاص آلهة الملك كما في الآية.

السادسة والستون: رميهم إياهم بتبديل الدين كما قال (إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد)[غافر: ٢٦].

السابعة والستون: رميهم إياهم بانتقاص الملك ، كقولهم: (ويذرك وآلهتك) [الأعراف: ١٢٧].

الثامنة والستون: دعواهم العمل بما عندهم من الحق ، كقوله: (نؤمن بما أنزل علينا) [البقرة: ٩١] مع تركهم إياه.

الدليل : (نؤمن بما أنزل علينا) قال ابن كثير في تفسيره (٣٢٨/١) :" يقول تعالى: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ } أي: لليهود وأمثالهم من أهل الكتاب { آمِنُوا بِمَا أَنزلَ اللَّهُ } [أي] (٥) : على محمد صلى الله عليه وسلم وصدقوه واتبعوه { قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزلَ عَلَيْنَا } أي: يكفينا الإيمان بما أنزل علينا من التوراة والإنجيل ولا نقر إلا بذلك، { وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ } يعني: بما بعده { وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ } أي: وهم يعلمون أن ما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم الحق (٦) { مُصَدِّقًا } (٧) منصوب على الحال، أي في حال تصديقه لما معهم من التوراة والإنجيل، فالحجة قائمة عليهم بذلك، كما قال تعالى: { الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ } [البقرة: ١٤٦] ثم قال تعالى: { [قُلْ] (٨) فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } أي: إن كنتم صادقين في دعواكم الإيمان بما أنزل إليكم، فلم قتلتم الأنبياء الذين جاؤوكم بتصديق التوراة التي بأيديكم والحكم بها وعدم نسخها، وأنتم تعلمون صدقهم؟ قتلتموهم بغيًا [وحسدًا] (٩) وعنادًا واستكبارًا على رسل الله، فلستم تتبعون إلا مجرد الأهواء، والآراء والتشهي (١٠) كما قال تعالى { أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ } [البقرة: ٨٧]. ". قال ابن جرير (٤٢١/٢):" إِنَّمَا أَخْبَرَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْهُمُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُمْ وَدُّوا ذَلِكَ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ إِعْلامًا مِنْهُ لَهُمْ بِأَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمَرُوا بِذَلِكَ فِي كِتَابِهِمْ ، وَأَنَّهُمْ يَأْتُونَ مَا يَأْتُونَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى عِلْمٍ مِنْهُمْ بِنَهْيِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ عَنْهُ. ".

قال تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً [النساء : ٦٠])

خالفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرهم بالقول والعمل ، وإلا يعد القول كذبا لأنه مخالف للواقع .

(يآيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ....) .

التاسعة والستون: الزيادة في العبادة ، كفعلهم يوم عاشوراء.

السبعون: نقصهم منها ، كتركهم الوقوف بعرفات.

- العبادة شرع من الله تعالى : فلا يجوز النقص أو الزيادة فيها .
- الزيادة : " الاحتفال بالمولد النبوي ، اللباس والطعام المعين ليوم عاشوراء) .
- النقصان :" تركهم الوقوف بيوم عرفة وترك التحاكم إلى الله ورسوله " .
  - التشريع مع الله تعالى كفر ، ولكن اختلفوا هل هو في الربوبية أم في الربوبية ؟.

أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [الشورى : ٢١]، قال ابن كثير في تفسيره (١٩٨/٧) : " أي: هم لا يتبعون ما شرع الله لك من الدين القويم، بل يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجن والإنس، من تحريم ما حرموا عليهم، من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وتحليل الميتة والدم والقمار، إلى نحو ذلك من الضلالات والجهالة (٥) الباطلة، التي كانوا قد اخترعوها في جاهليتهم، من التحليل والتحريم، والعبادات الباطلة، والأقوال الفاسدة ".

الحادية والسبعون: تركهم الواجب ورعاً.

- يتركون الواجب لئلا يقعون في الإثم .
- ترك الواجب نوعان :

١-تعبدا لله جل وعلا ، وهذا بدعة وقد يصل بصاحبه للكفر كترك الصلاة.

٢-ترك الواجب كسلا . وهذه معصية إلا في ترك الصلاة ،كما إجماع الصحابة على ذلك .

قال شيخ الإسلام في الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٧٠/١): " كما رفعته النصارى فلا يوجبون الطهارة من الجنابة ولا الوضوء للصلاة ولا اجتناب النجاسة في الصلاة بل يعد كثير من عبادهم مباشرة النجاسات من أنواع القرب والطاعات حتى يقال في فضائل الراهب له أربعةن سنة ما مس الماء ولهذا تركوا الختان ، مع أنه شرع إبراهيم الخليل عليه السلام وأتباعه واليهود إذا حاضت عندهم المرأة لا يؤاكلونها ولا يشاربونها ولا يقعدون معها في بيت واحد والنصارى لا يحرمون وطء الحائض وكان اليهود لا يرون إزالة النجاسة بل إذا أصاب ثوب أحدهم قرضه بالمقراض والنصارى ليس عندهم شيء نجس يحرم أكله أو تحرم الصلاة معه)ا هـــ.

- مسألة : كثير من الناس يتركون الأعمال خشية الوقوع في الإثم أو الرياء ؟ نقول هذا الأمر بدعة ، ونقول : أنتم مأمورون بهذا العمل الواجب مع تصحيح النية والاعتقاد وجاهدة النفس على ذلك .

الثانية والسبعون: تعبدهم بترك الطيبات من الرزق.

الثالثة والسبعون: تعبدهم بترك زينة الله.

ولكن أمة محمد صلى الله عليه وسلم مأمورة بإظهار الزينة و الطيبات على نفسها (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعبادة والطيبات من الرزق ...) قال اشوكاني في الفتح (٣٠/٣):" الزينة : ما يتزين به الإنسان ، من ملبوس أو غيره من الأشياء المباحة ، كالمعادن التي لم يرد نهي عن التزين بها ، والجواهر ونحوها؛ وقيل الملبوس خاصة ، ولا وجه له ، بل هو من جملة ما تشمله الآية ، فلا حرج على من لبس الثياب الجيدة الغالية القيمة إذا لم يكن مما حرّمه الله ، ولا حرج على من تزين بشيء من الأشياء التي لها مدخل في الزينة ، ولم يمنع منها مانع شرعي ، ومن زعم أن ذلك يخالف الزهد فقد غلط غلطاً بيناً . وقد قدّمنا في هذا ما يكفي ، وهكذا الطيبات من المطاعم والمشارب ونحوهما ، مما يأكله الناس ، فإنه لا زهد في ترك الطيب منها ، ولهذا جاءت الآية هذه معنونة بالاستفهام المتضمن للإنكار على من حرّم ذلك على نفسه ، أو حرّمه على غيره . وما أحسن ما قال ابن جرير الطبري : ولقد أخطأ من آثر لباس الشعر والصوف على لباس القطن والكتان ، مع وجود السبيل إليه من حله ، ومن أكل البقول والعدس ، واختاره على خبز البرّ ، ومن ترك أكل اللحم خوفاً من عارض الشهوة . وقد قدّمنا نقل مثل هذا عنه مطوّلاً . والطيبات المستلذات من الطعام؛ وقيل هو اسم عام لما طاب كسباً ومطعماً . قوله : { قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ الله التى أَخْرَجَ } أي : أنها لهم بالأصالة ، وإن شاركهم الكفار فيها ما داموا في الحياة { خَالِصَةً يَوْمَ القيامة } أي : مختصة بهم يوم القيامة ، لا يشاركهم فيها الكفار . ".

قال صلى الله عليه وسلم (إن الله جميل يحب الجمال) .

الرابعة والسبعون: دعاؤهم الناس إلى الضلال بغير علم.

لزم من ذلك الوقوع في الضلال ، فهو ضال في نفسه مضل لغيره .

قال تعالى :" وَإِنَّ كَثِيراً لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ [الأنعام : ١١٩] ". قال الشوكاني في الفتح (٢/ ٤٦٩):"هم الكفار الذين كانوا يحرّمون البحيرة والسائبة ونحوهما ، فإنهم بهذه الأفعال المبنية على الجهل ، كانوا يضلون الناس ، فيتبعونهم ، ولا يعلمون أن ذلك جهل وضلالة ، لا يرجع إلى شيء من العلم ، ثم أمرهم الله أن يتركوا ظاهر الإثم وباطنه . والظاهر : ما كان يظهر كأفعال الجوارح . والباطن : ما كان لا يظهر كأفعال القلب؛ وقيل ما أعلنتم وما أسررتم . وقيل : الزنا الظاهر ، والزنا المكتوم وأضاف الظاهر والباطن إلى الإثم ، لأنه يتسبب عنهما ، ثم توعد الكاسبين للإثم بالجزاء بسبب افترائهم على الله سبحانه . ".

- من كان جاهلا لا يلزم عدم إنزال الوصف عليه وأما دخول الجنة والنار فمسألة أخرى (ليس لك فيها مطمع).

قال تعالى :" وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ [الحج : ٣] " قال ابن كثير في تفسيره (٥/٣٩٤):" يقول تعالى ذامًا لمن كذب بالبعث، وأنكر قدرة الله على إحياء الموتى، معرضا عما أنزل الله على أنبيائه، متبعًا في قوله وإنكاره وكفره كل شيطان مريد، من الإنس والجن، وهذا حال أهل الضلال (٢) والبدع، المعرضين عن الحق، المتبعين للباطل، يتركون ما أنزله الله على رسوله من الحق المبين، ويتبعون أقوال رءوس الضلالة، الدعاة إلى البدع بالأهواء والآراء، ولهذا قال في شأنهم وأشباههم: { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ } ، أي: علم صحيح، { وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ . مَرِيدٍ كُتِبَ عَلَيْهِ } قال مجاهد: يعني الشيطان، يعني: كتب عليه كتابة قدرية { أَنَّهُ مَنْ تَوَلاهُ } أي: اتبعه وقلده، { فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ } أي: يضله في الدنيا ويقوده في الآخرة إلى عذاب السعير، وهو الحار المؤلم المزعج المقلق. " .

قال تعالى : (ود كثير من أهل لو يضلونكم من بعد إيمانكم كفارا .....) : قال الشوكاني (١/١٦١):" فيه إخبار المسلمين بحرص اليهود على فتنتهم ، وردّهم عن الإسلام ، والتشكيك عليهم في دينهم . ".وقال " عن ابن عباس ، أنه قال : قال رافع بن حُرَيْملة ، ووهب بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد ائتنا بكتاب يَنزّل علينا من السماء نقرؤه ، أو فجِّر لنا أنهاراً نتَّبعك ، ونصدقك ، فأنزل الله في ذلك : { أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْئَلُواْ رَسُولَكُمْ } الى قوله { سَوَاء السبيل } وكان حيي بن أخطب [وأبو ياسر بن أخطب] من أشدّ اليهود حسداً للعرب ، إذ خصهم الله برسوله ، وكانا جاهديْن في ردّ الناس عن الإسلام ما استطاعا ، فأنزل الله فيهما : { وَدَّ كَثِيرٌ مّنْ أَهْلِ الكتاب } الآية . ".

الخامسة والسبعون: دعواهم محبة الله، مع تركهم شرعه، فطالبهم الله بقوله: (إن كنتم تحبون الله) الآية [آل: عمران ٣١]

السادسة والسبعون: دعاؤهم إياهم إلى الكفر، مع العلم.

السابعة والسبعون: المكر الكبار، كفعل قوم نوح.

المكر : إيصال المكروه للغير ، وهو نوعان : (حسن وسيء) ، السيء : هي الحيل الخفية لإيصال الحيل لمن لا يستحقه .

- (ومكلاوا مكرا كبارا): أي عظيما كبيرا .

الثامنة والسبعون: أن أئمتهم إما عالم فاجر، وإما عابد جاهل، كما في قوله: (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله) إلى قوله: (ومنهم أميون) [البقرة: ٧٥ – ٧٨].

- إمام : هو من يأتم به الناس ، وهو إما حسن أو سيء .
- عالم فاجر : أحبار اليهود .
- عابد جاهل : رهبان النصارى .

(أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ [البقرة : ٧٥]): قال ابن كثير (٣٠٧/١): " قول تعالى: { أَفَتَطْمَعُونَ } أيها المؤمنون { أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ } أي: ينقاد لكم بالطاعة، هؤلاء الفرقة الضالة من اليهود، الذين شاهد آباؤهم من الآيات البينات ما شاهدوه ثم قست قلوبهم من بعد ذلك { وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ } أي: يتأولونه على غير تأويله { مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ } أي: فهموه على الجلية ومع هذا يخالفونه على بصيرة { وَهُمْ يَعْلَمُونَ } أنهم مخطئون فيما ذهبوا إليه من تحريفه وتأويله؟ وهذا المقام شبيه بقوله تعالى: { فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ } [المائدة: ١٣]. " .

قال السدي : هي التوراة حرفوها .وهي أعم مما ذكره ابن عباس .

(ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب .....) .

التاسعة والسبعون: تمنيهم الأماني الكاذبة، كقولهم: (لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة) [البقرة: ٨٠] وقولهم: (لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى) [البقرة: ١١١].

- تمنى الشيء : قدره وأحبه أن يصير إليه ، الأمنية : مايريده الإنسان . (أم للإنسان ما تمنى) (فتمنوا الموت) .
- (وقالوا لن تمسنا النار إلا أيامام معدودات) : قال اطبري (١٧٣/٢) :" قال ابن عباس : لن تمسنا النار إلا أربعين ليلة .".وهذا تخمين وظن وكذب و قال بعض أهل العلم ك وهذه مدة عبادتهم العجل .وقال الطبري " عَنْ عِكْرِمَةَ ، قَالَ : اجْتَمَعَتْ يَهُودُ يَوْمًا تُخَاصِمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا : {لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَعْدُودَةً} أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ يَخْلُفُنَا أَوْ يَلْحَقُنَا فِيهَا أُنَاسٌ ؛ فَأَشَارُوا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كَذَبْتُمْ ، بَلْ أَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ مُخَلَّدُونَ لاَ نَلْحَقُكُمْ أو نَخْلُفُكُمْ فِيهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَبَدًا. " .
- "وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون ": قال ابن كثير في تفسيره (٣٨٤/١):" يبين تعالى اغترار اليهود والنصارى بما هم فيه، حيث ادعت كل طائفة من اليهود والنصارى أنه لن يدخل الجنة إلا من كان على ملتها، كما أخبر الله عنهم في سورة المائدة أنهم قالوا: { نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ } [المائدة: ١٨] . فأكذبهم الله تعالى بما أخبرهم أنه معذبهم بذنوبهم. ".
  - لا يطالب النافي بالدليل ، وهنا هم نفوا (وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى) فكما ظان الدليل للإثبات يكون للنفي نبه عليها شيخ الإسلام .

الدين ليس بالتمني ولا بالتحلي ، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل .

الثمانون: دعواهم أنهم أولياء الله من دون الناس.

قال تعالى : (قل يأيها الذين آمنوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت .....) ،وهذه دعوة للمباهلة . (وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُواْ أَوْلِيَاءهُ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ [الأنفال : ٣٤]) .

قال الشوكاني في الفتح (٣/٣٩٣):" الوليّ : في اللغة : القريب . والمراد بأولياء الله : خلص المؤمنين كأنهم قربوا من الله سبحانه بطاعته واجتناب معصيته . وقد فسر سبحانه ، هؤلاء الأولياء بقوله : { الذين ءامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ } أي : يؤمنون بما يجب الإيمان به ، ويتقون ما يجب عليهم اتقاؤه من معاصي الله سبحانه " .

الحادية والثمانون: اتخاذ قبور أنبيائهم، وصالحيهم، مساجد

الثانية والثمانون: اتخاذ آثار أنبيائهم، مساجد، كما ذكر عن عمر.

- آثار : جمع أثر : وهو المكان الذي جلس فيه نبي أو رجل صالح .
  - من صور الغلو :-

١-اتخاذ قبور أنبياءهم مساجد (غلو في الأشخاص).

٢-اتخاذ آثارهم مساجد (غلو في الأماكن) .

- معنى اتخاذ قبرهم مساجد :أي أماكن للتعبد إن لم يبنوا عليها .

(قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا) : هل القائلون بهذا مسلمون أم مشركون " في القصة " ؟يحتمل هذا وهذا ، ابن كثير وابن جرير أطلقا القولين ، أما الشوكاني رجح أنهم مسلمون وذلك بدلالة لفظة مسجد وهو مكان للصلاة عند المسلمين ، والصحيح أنه لا ينبني عليه أي شيء .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لعن الله اليهود والنصارى : اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد .وفي رواية : قاتل الله اليهود ..... .

- في فتح المجيد : " قال البيضاوي : لما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور الأنبياء تعظيما لشأنهم ويجعلنها قبلة يتوجهون في الصلاة نحوها واتخذوها أوثانا لعنهم النبي صلى الله عليه و سلم ".

- وكل موضع قصد الصلاة فيه صار مسجدا .

الثالثة والثمانون: اتخاذ السرج على القبور

- سرج : جمع سراج وهو المصباح الزاهر المنير ، وهذه صورة من صور المسألتين السابقتين ، وهذا محرم لأنه تهيئة للعبادة عندهم .

الرابعة والثمانون: اتخاذها أعياداً.

- أعياد : جمع عيد : وهو المتكرر الحدوث .

الخامسة والثمانون: الذبح عند القبور.

قال صلى الله عليه وسلم : لعن الله من ذبح لغير الله .رواه مسلم والنسائي وغيرهما .

السادسة والثمانون: التبرك بآثار المعظمين، كدار الندوة، وافتخار من كانت تحت يده، كما قيل لحكيم بن حزام: بعت مكرمة قريش ؟ فقال: ذهبت المكارم إلا التقوى.

- التبرك : التيامن بالشيء . والأصل في التبرك المنع إلا إذا جاء دليل .

السابعة والثمانون: الاستسقاء بالأنواء.

الثامنة والثمانون: الفخر بالأحساب.

التاسعة والثمانون: الطعن في الأنساب.

التسعون: النياحة.

قال صلى الله عليه وسلم : (أَرْبَعٌ فِى أُمَّتِى مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لاَ يَتْرُكُونَهُنَّ الْفَخْرُ فِى الأَحْسَابِ وَالطَّعْنُ فِى الأَنْسَابِ وَالاِسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ وَالنِّيَاحَةُ ». وَقَالَ « النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ). رواه مسلم .

- الفخر : هي المباهاة في الأشياء الخارجة عن الإنسان مثل (المال والجاه والمنصب وغيرها) .

كان الجاهليون يعقدون ما يسمونه بالمنافرات وهي مجالس يتبارى فيها الرجلانلذكر محاسنهم ، وقد قال الله تعالى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم).

- الطعن : يقال : طعن فيه وعليه ، أي نقّصه وعابه .
- الاستسقاء بالأنواء : طلب السقيا والمطر .
  - نسبة المسبب إلى السبب مباشرة (شرك أصغر وقد يكون شركا أكبرا).

حديث :- (مطرنا بنوء كذا وكذا .....) فأنزل الله : (فتجعلون رزقكم أنكم تكذبون).

- النياحة : ناح ينوح نوحا ونياحة ، قال الألوسي في شرحه على المسائل (٤٢٣) " ومَعْنَى قوله في النَّائحَةِ: « وعليها سِرْبالٌ مِن قَطرانٍ » : أنَّ اللهَ تَعالى يُجازيها بِلِباسٍ مِن قَطرانٍ لأنَّها كانت تَلْبَسُ الثِّياب السُّودَ. وَقَولُهُ: « دِرْع مِن جَرَب » ، يعني: يُسلَّطُ على أعضائها الجَرَبُ والحكَّةُ، بحيثُ يُغَطِّي بَدَنَها تَغطيَةَ الدِّرعْ- وهو القميصُ-؛ لأنَّها كانت تَجْرَحُ بكلماتِها المُحْرِقَةِ قُلوبَ ذَوي المُصيباتِ. "

الحادية والتسعون: أن أجل فضائلهم، الفخر بالأنساب، فذكر الله فيه ما ذكر.

الثانية والتسعون: أن أجل فضائلهم الفخر أيضاً، ولو بحق، فنهي عنه.

والأدلة كثيرة منها (أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا) ، (وقالوا نحن أكثر منك أموالا وأولادا) .

فنهيوا عنها ولو كان بحق ، (ولا تمش في الأرض مرحا * إن الله لا يحب كل مختال فخور) .(أنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر).

الثالثة والتسعون: أن الذي لا بد منه عندهم، تعصب الإنسان لطائفته، ونصر من هو منها ظالماً، أو مظلوماً، فأنزل الله في ذلك ما أنزل.

- يهود بني القينقاع مع الخزرج " وهذا سابقا في أيام الجاهلية ".
- يهود بني النظير وبني قريظة مع الأوس .

عنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ –صلى الله عليه وسلم– أَنَّهُ قَالَ « مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً فَقُتِلَ فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِى يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا وَلاَ يَتَحَاشَ مِنْ مُؤْمِنِهَا وَلاَ يَفِى لِذِى عَهْدٍ عَهْدَهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَلَسْتُ مِنْهُ ». رواه مسلم .

(ولا يجرمنكم شنئان قوم على أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا .....).

(أنصر أخاك ظالما أو مظلوما .....).

الرابعة والتسعون: أن دينهم أخذ الرجل بجريمة غيره، فأنزل الله: (ولا تزر وازرة وزر أخرى) [الإسراء: ١٥]

- أخذ الرجل : عقاب الرجل .
  - والصحيح أن المذنب أو الآثم لا يؤاخذ بغيره .

الخامسة والتسعون: تعيير الرجل بما في غيره، فقال: " أعيرته بأمه ؟ إنك امرء فيك جاهلية ".

الدليل واضح وصريح : أعيرته بأمه؟.

- إنكار النبي صلى الله عليه وسلم على أبي ذر يدل على أنه مذموم شرعا ، فهو محرم .
- تعيير الرجل بما ليس فيه من خصال الجاهلية ، وهذه داخلة في مسألة الطعن في الأنساب .

السادسة والتسعون: الافتخار بولاية البيت، فذمهم الله بقوله: (مستكبرين به سامرا تهجرون) [المؤمنون: ٦٧].

- الولي : كل من قام بأمر .
- الولاية : الإمارة .

الدليل : (مستكبرين به سامرا تهجرون) قال ابن كثير (٤٨٣/٥):"في تفسيره قولان، أحدهما: أن مستكبرين حال منهم حين نكوصهم عن الحق وإبائهم إياه، استكبارًا عليه واحتقارًا له ولأهله، فعلى هذا الضمير في { بِهِ } فيه ثلاثة أقوال:

أحدهما : أنه الحرم بمكة، ذموا لأنهم كانوا يسمرون بالهُجْر من الكلام.

والثاني: أنه ضمير القرآن، كانوا يسمرون ويذكرون القرآن بالهجر من الكلام: "إنه سحر، إنه شعر، إنه كهانة" إلى غير ذلك من الأقوال الباطلة.

والثالث: أنه محمد صلى الله عليه وسلم، كانوا يذكرونه في سمرهم بالأقوال الفاسدة، ويضربون له الأمثال الباطلة، من أنه شاعر، أو كاهن، أو ساحر، أو كذاب، أو مجنون. وكل ذلك باطل، بل هو عبد الله ورسوله، الذي أظهره الله عليهم، وأخرجهم من الحرم صاغرين أذلاء. " .

عن النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ قَالَ كُنْتُ عِنْدَ مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– فَقَالَ رَجُلٌ مَا أُبَالِى أَنْ لاَ أَعْمَلَ عَمَلاً بَعْدَ الإِسْلاَمِ إِلاَّ أَنْ أُسْقِىَ الْحَاجَّ. وَقَالَ آخَرُ مَا أُبَالِى أَنْ لاَ أَعْمَلَ عَمَلاً بَعْدَ الإِسْلاَمِ إِلاَّ أَنْ أَعْمُرَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ. وَقَالَ آخَرُ الْجِهَادُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ مِمَّا قُلْتُمْ. فَزَجَرَهُمْ عُمَرُ وَقَالَ لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ عِنْدَ مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– وَهُوَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ وَلَكِنْ إِذَا صَلَّيْتُ الْجُمُعَةَ دَخَلْتُ فَاسْتَفْتَيْتُهُ فِيمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ) الآيَةَ إِلَى آخِرِهَا." رواه مسلم .

السابعة والتسعون: الافتخار بكونهم ذرية الأنبياء، فأتى الله بقوله: (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت) الآية [البقرة: ١٣٤].

- الافتخار : التعالي والتعاظم .
- صالح الآباء لا ينفع صالح الأبناء إلا إذا كانوا صالحين .

الدليل (تلك أمة قد خلت .....) قال ابن كثير (٤٤٧/١):" أي: إن السلف الماضين من آبائكم من الأنبياء والصالحين لا ينفعكم انتسابكم إليهم إذا لم تفعلوا خيرًا يعود نفعهُ عليكم، فإن لهم أعمالهم التي عملوها ولكم أعمالكم: { وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ }، وقال أبو العالية، والربيع، وقتادة: { تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ } يعني: إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط [ولهذا جاء، في الأثر: من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه] ".وأن ليس للإنسان إلا ما سعى .

- لا يجوز الحج عن الآباء المقصرين أو الآباء الذين أدوا فريضة الحج . لأن الدليل خاص بالآباء الذين لم يحجوا .

قال تعالى : (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ [المؤمنون : ١٠١]) ، وقال (وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ [البقرة : ١٢٤]) .وقال (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأوَّاهٌ حَلِيمٌ [التوبة : ١١٤]) وقال (وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ [هود : ٤٥]* قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ [هود : ٤٦]) .

الثامنة والتسعون: الافتخار بالصنائع، كفعل أهل الرحلتين، على أهل الحرث.

(لإيلاف قريش إيلافهم .....) سموا قريشا من القَرْش .

(إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليه ...) .(أنا أكثر منك مالا وولدا).

التاسعة والتسعون: عظمة الدنيا في قلوبهم، كقولهم: (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) [الزخرف: ٣١].

(وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) أي مكة والطائف .

قال القرطبي (٨٣/١٦):"والرجلان: الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم عم أبي جهل. والذي من الطائف أبو مسعود عروة بن مسعود الثقفي، قاله قتادة. وقيل: عمير بن عبد ياليل الثقفي من الطائف، وعتبة بن ربيعة من مكة، وهو قول مجاهد. وعن ابن عباس: أن عظيم الطائف حبيب بن عمرو الثقفي. وقال السدي: كنانة بن عبد بن عمرو. روي أن الوليد بن المغيرة– وكان يسمى ريحانة قريش– كان يقول: لو كان ما يقوله محمد حقا لنزل علي أو على أبي مسعود، فقال الله تعالى:" أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ" يعني النبوة فيضعونها حيث شاءوا."

(اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ [الحديد : ٢٠]) ، (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ [فاطر : ٥]) ، روى الترمذي في سننه وصححه الألباني : (عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا من شربة ماء).

المائة: التحكم على الله، كما في الآية.

التحكم أو الاقتراح على الله تعالى ، (وَقَالُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكاً لَّقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ [الأنعام : ٨]) ، (وَإِذَا جَاءتْهُمْ آيَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللّهِ اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ) ، (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً [الفرقان : ٣٢]،(يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُواْ أَرِنَا اللّهِ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُواْ الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَاناً مُّبِيناً [النساء : ١٥٣]،(وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللّهَ قَادِرٌ عَلَى أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ [الأنعام : ٣٧]). هذا كله من باب التحكم على الله تعالى.

والأصل في المسلم الموحد كما قال الله تعالى :(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ) ، الأصل أن لفظ مؤمن يدخل فيها النساء .

- قال الله تعالى :" فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ...) : فلا وربك : هذا أعلى درجات القسم .
- هذه الآية عظيمة ، وأما المواثيق الدولية والدستور والقوانين الوضعية وكل هذا من..... مباينة لهذه الآية الكريمة .
- (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به) = حديث مختلف في ثبوته .

(فليحذر الذين يخالفون عن أمره .....) .

الحادية بعد المائة: ازدراء الفقراء، فأتاهم بقوله: (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي)، [الأنعام: ٥٢] .

- الفقراء : الذين هم متبوعين للأنبياء والرسل ،(كما جاء في حديث معاوية مع هرقل) .

(ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي .....) : قال ابن كثير (٣/٢٥٩):" أي: لا تبعد هؤلاء المتصفين بهذه الصفة عنك، بل اجعلهم جلساءك وأخصاءك، كما قال: { وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا } " .

قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم ...).

الثانية بعد المائة: رميهم اتباع الرسل بعدم الإخلاص، وطلب الدنيا، فأجابهم بقوله: (ما عليك من حسابهم من شيء) الآية [الأنعام: ٥٢] وأمثالها.

تابعة للمسألة السابقة .

الثالثة بعد المائة: الكفر بالملائكة.

- الدهريين ينكرون وجود الملائكة و وذلك تبع لإنكارهم لوجود الله تعالى والعياذ بالله .

الرابعة بعد المائة: الكفر بالرسل.

- (كذبت قوم نوح المرسلين) : المرسلين : لأن التكذيب برسول واحد تكذيب بجميع الرسل .

(وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ [يونس : ١٣]).(وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ وَلَقَدْ جَاءكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ [الأنعام : ٣٤]).(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً [النساء : ١٣٦]).

الخامسة بعد المائة: الكفر بالكتب.

وذلك لما جاء في حديث جبريل المعروف المشهور (إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ [غافر : ٧١]).

السادسة بعد المائة: الإعراض عن ما جاء عن الله.

- وهذا يسمى كفر الإعراض ، فتراه يقلد غيره في جميع أموره وهذا من النواقض و ونص على ذلك ابن القيم وجمهور كبير من أهل العلم وكذلك هي من نواقض الإسلام عند المجدد محمد بن عبد الوهاب .

(وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ [الأنعام : ٤]) .(مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْراً [طه : ١٠٠]) .قال ابن كثير في تفسيره (أعرض عن اتباعه أمرا وطلبا).

السابعة بعد المائة: الكفر باليوم الآخر.

- الكفر : الجحود .

إنكار البعث يستلزم نفيه وإنكار ما بعده .(وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاء الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ [المؤمنون : ٣٣]).(أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ [المؤمنون : ٣٥]).(قال من يحيي العظام وهي رميم).

قال ابن كثير في تفسيره (٥٩٣/٦):" قال مجاهد، وعِكْرِمَة، وعروة بن الزبير، والسُّدِّي. وقتادة: جاء أُبي بن خلف [لعنه الله] (٤) إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده عظم رميم وهو يُفَتِّتُه ويذريه (٥) في الهواء، وهو يقول: يا محمد، أتزعم أن الله يبعث هذا؟ فقال: "نعم، يميتك الله تعالى ثم يبعثك، ثم يحشرك إلى النار". ونزلت هذه الآيات من آخر "يس" : { أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ } ، إلى آخرهن. ".

(قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر)والله تعالى أثبت اليوم الآخر بأدلة لا تعد ولا تحصى ، منها (ويخرجكم إخراجا)(زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي)(ويستنبؤونك أحق هو قل إي وربي إنه لحق)(حديث جبريل المعروف).

لا فرق بين من كذب باليوم الآخر كله أو شيئا جزئيا منه .

الثامنة بعد المائة: التكذيب بلقاء الله.

- لقاء الله : إما اليوم الآخر ، وقيل رؤية الله تعالى عز وجل " وهذا فيه الرد على من أنكر صفة الرؤية ".

التاسعة بعد المائة: التكذيب ببعض ما أخبرت به الرسل عن اليوم الآخر، كما في قوله: (والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) [الأعراف: ١٤٧] ومنها: التكذيب بقوله: (مالك يوم الدين) [الفاتحة: ٤] وقوله: (لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة) [البقرة: ٢٥٤] وقوله: (إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) [الزخرف: ٨٦].

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ [البقرة : ٢٥٤]) ، (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً [الكهف : ١٠٣] * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً [الكهف : ١٠٤]).

مالك يوم الدين : مالك مأخوذ من الملك ، (وإلينا ترجعون) (قل أعوذ برب الناس ملك الناس) ، (وله الملك) (الملك يومئذ الحق للرحمن) (إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) .

- في الأمور الغيبية : نثبت اللفظ ونثبت المعنى ونثبت الحقيقة من غير تكييف لأنه مجهول لدينا .

سواء كانت في توحيد الأسماء والصفات أو في أمور اليوم الآخر .ومن هنا نعلم أن تمثيل اليوم الآخر بالصور بالتماثيل مردود على أصحابه وإن كانت له ثمرة . فانتبه لها يا طالب العلم .

العاشرة بعد المائة: الكفر بالأنبياء .

القيد يكون للاحتراز أو لبيان الحالوالواقع .

(اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) ، الذي خلقكم : قيد لبيان الحال والواقع ، لو قلنا للاحتراز : كأنا أثبتنا إلهً لم يخلقكم .(إن الذين يقتلون الأنبياء بغير حق و.....) : بغير حق : قيد لبيان الحال والواقع ، لأنه كذلك لا يجوز قتل الأنبياء بحق ، وهو محال .

الحادية عشر بعد المائة: الإيمان بالجبت والطاغوت .

- الجبت : قيل السحر ، وقيل كعب بن الأشرف وقيل الشيطان ،والصحيح أنها كلمة عامة فتعم كل ما قيل ، الطاغوت : الشيطان و قيل الكهان ، وقيل : كل ما يعبد من دون الله .

وهما اسمان لكل ما يعبد أو يطاع من غير الله تعالى عز وجل ، سواء كان إنسانا أو حيوانا أحجرا أو غير ذلك .

- تقسيم الطواغيت : راجع آخر رسالة الأصول الثلاثة .

(فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى).

الثانية عشر بعد المائة: تفضيل دين المشركين .

الثالثة عشر بعد المائة: كتمان الحق مع العلم به.

الرابعة عشر بعد المائة: قاعدة الضلال، هي: القول على الله بلا علم.

قال تعالى : (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون)،

- لبس الحق بالباطل من أنواع كتم العلم .

قال القرطبي (٥/٥٤٠) " عَنْ قَتَادَةَ ، قَوْلُهُ : {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ} الآيَةَ ، هَذَا مِيثَاقٌ أَخَذَهُ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّينَ أَنْ يُصَدِّقَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَأَنْ يُبَلِّغُوا كِتَابَ اللَّهِ وَرِسَالاَتِهِ ، فَبَلَّغَتِ الأَنْبِيَاءِ كِتَابَ اللَّهِ وَرِسَالاَتِهِ إِلَى قَوْمِهِمْ ، وَأَخَذَ عَلَيْهِمْ فِيمَا بَلَّغَتْهُمْ رُسُلُهُمْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيُصَدِّقُوهُ وَيَنْصُرُوهُ.".

قال ابن كثير في تفسيره (١/٤٧٢) :" هذا وعيد شديد لمن كتم ما جاءت به الرسلُ من الدلالات البينة على المقاصد الصحيحة والهدى النافع للقلوب، من بعد ما بينه الله –تعالى –لعباده في كتبه، التي أنزلها على رسله.

قال أبو العالية: نزلت في أهل الكتاب، كتمُوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ثم أخبر أنهم . يلعنهم كلّ شيء على صنيعهم ذلك، فكما أن العالم يستغفر له كلّ شيء، حتى الحوت في الماء والطير في الهواء، فهؤلاء بخلاف العلماء [الذين يكتمون] فيلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون.".

الخامسة عشر بعد المائة: التناقض الواضح، لما كذبوا الحق، كما قال تعالى: (بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج) [ق: ٥].

- التناقض : التخالف والتعارض .
- الواضح : البين الظاهر الذي لا يحتاج لبرهان أو دليل .

فهم أقوام مختلفون : منهم من يعبد اللات أو العزى أو الصنم الآخر أو التمر أو الفأر أو البقر أو غير ذلك . كل حزب بما لديهم فرحون .

وكذلك تناقضهم في وصف النبي صلى الله عليه وسلم .

السادسة عشر بعد المائة: الإيمان ببعض المنزل دون بعض.

وهذا كذلك من التناقض : لأن البعض الأول الذي آمنتم به هو من الجنس البعض الثاني الذي كفرتم به .(أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض .....) (وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللّهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ [الرعد : ٣٦]).قال مجاهد : هم أهل الكتاب .

السابعة عشر بعد المائة: التفريق بين الرسل.

وهذه موافقة لمسألة الكفر بالرسل .

قال ابن كثير (٢/٤٤٥):" يتوعد [تبارك و] تعالى الكافرين به وبرسله من اليهود والنصارى، حيث فَرّقوا بين الله ورسله في الإيمان، فآمنوا ببعض الأنبياء وكفروا ببعض، بمجرد التشهي والعادة، وما ألفوا عليه آباءهم، لا عن دليل قادهم إلى ذلك، فإنه لا سبيل لهم إلى ذلك بل بمجرد الهوى والعصبية. فاليهود –عليهم لعائن الله–آمنوا بالأنبياء إلا عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، والنصارى آمنوا بالأنبياء وكفروا بخاتمهم وأشرفهم محمد صلى الله عليه وسلم، والسامرة لا يؤمنون بنبي بعد يوشع خليفة موسى بن عمران، والمجوس يقال: إنهم كانوا يؤمنون بنبي لهم يقال له زرادشت، ثم كفروا بشرعه، فرفع من بين أظهرهم، والله أعلم.

والمقصود أن من كفر بنبي من الأنبياء، فقد كفر بسائر الأنبياء، فإن الإيمان واجب بكل نبي بعثه الله إلى أهل الأرض، فمن رد نبوته للحسد أو العصبية أو التشهي تبين أن إيمانه بمن آمن به من الأنبياء ليس إيمانًا شرعيًّا، إنما هو عن غرض وهوى وعصبية؛ ولهذا قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ } فوسمهم بأنهم كفار بالله ورسله { وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ } أي: في الإيمان { وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا } أي: طريقًا ومسلكًا. ".

- من كفر بنبي فقد كفر بجميع الأنبياء والرسل .

الثامنة عشر بعد المائة: مخالفتهم فيما ليس لهم به علم.

(مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ [آل عمران : ٦٧]).

- آية الجبابرة : القتل بغير حق .

التاسعة عشر بعد المائة؛ دعواهم اتباع السلف، مع التصريح بمخالفتهم.

العشرون بعد المائة: صدهم عن سبيل الله من آمن به.

- الصد : المنع والصرف . قال نوح " إنك إن تذرهم يضلوا عبادك " " ولا تقعدوا بكل صراط " " قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله " " فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين* الذين يصدون عن سبيل الله..... ".

- وهذا فيه دليل أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة .

الحادية والعشرون بعد المائة: مودتهم الكفر، والكافرين.

(ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا ....) (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) .(يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم ....).

(وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ) .

الثانية والعشرون بعد المائة، والثالثة، والرابعة، والخامسة، والسادسة، والسابعة والعشرون بعد المائة: العيافة، والطرق، والطيرة، والكهانة، والتحاكم إلى الطاغوت، وكراهية التزويج بين العيدين؛

١-العيافة : التفاؤل والتشاؤم بالطير (زجر الطير).

٢-الطرق : من أنواع الكهانة (ضرب الحظ).

٣-الكهانة :(هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ [الشعراء : ٢٢١]) (تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ [الشعراء : ٢٢٢]).

٤-الطيرة : نفس معنى العيافة والتطير .

٥-التحاكم إلى الطاغوت : مر معنا ، قال تعالى : " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً [النساء : ٦٠]".

٦-كراهة التزويج بين العيدين : بين عيد الفطر وعيد الأضحى .وقد جاء في الحديث الصحيح " عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ تَزَوَّجَنِى رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم– فِى شَوَّالٍ وَبَنَى بِى فِى شَوَّالٍ فَأَىُّ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– كَانَ أَحْظَى عِنْدَهُ مِنِّى. قَالَ وَكَانَتْ عَائِشَةُ تَسْتَحِبُّ أَنْ تُدْخِلَ نِسَاءَهَا فِى شَوَّالٍ.".

والله أعلم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين .